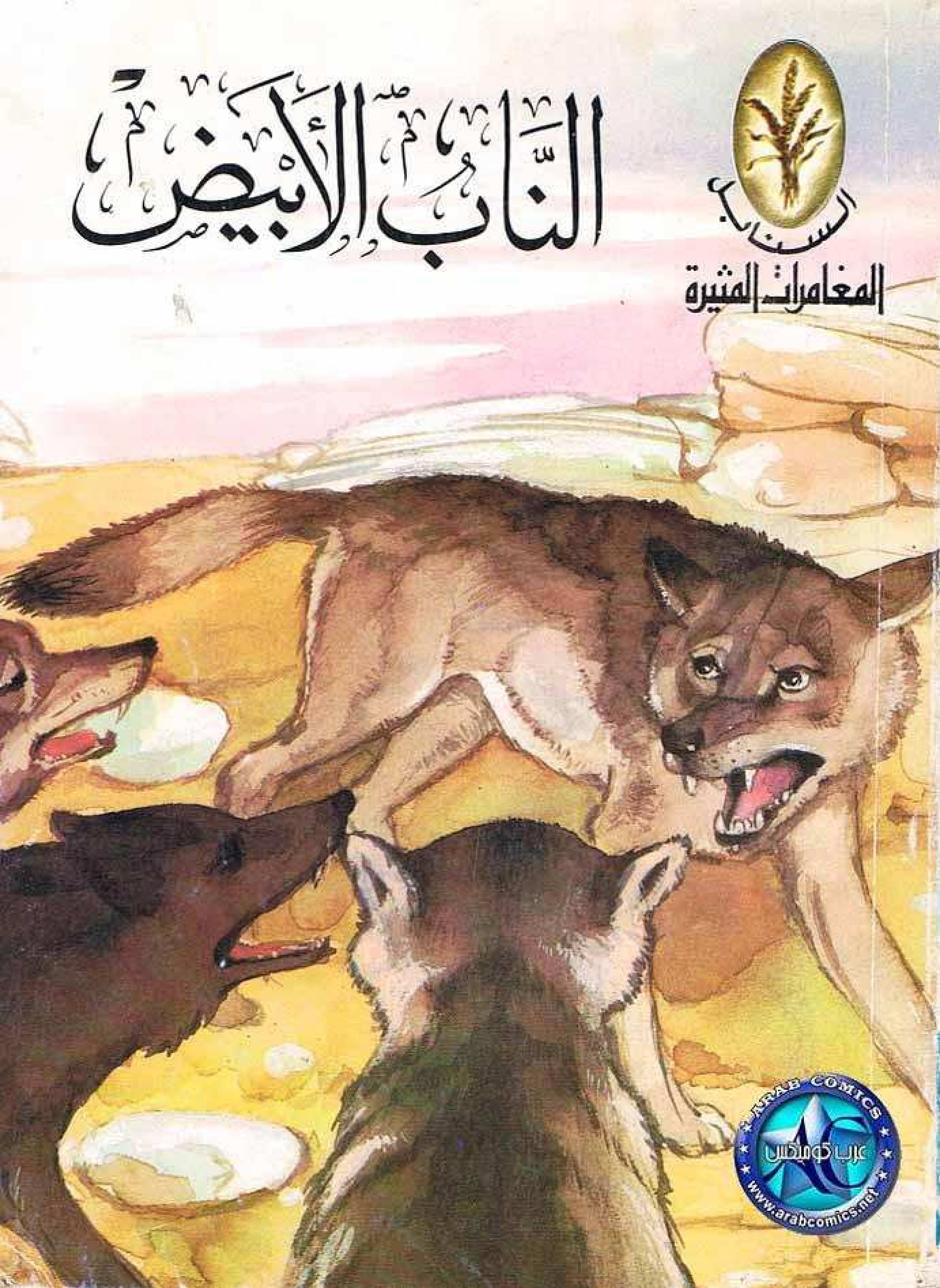

السنابل
المغامرات المثيرة
الناب الأبيض
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٥٩٧ / ١٩٩٢

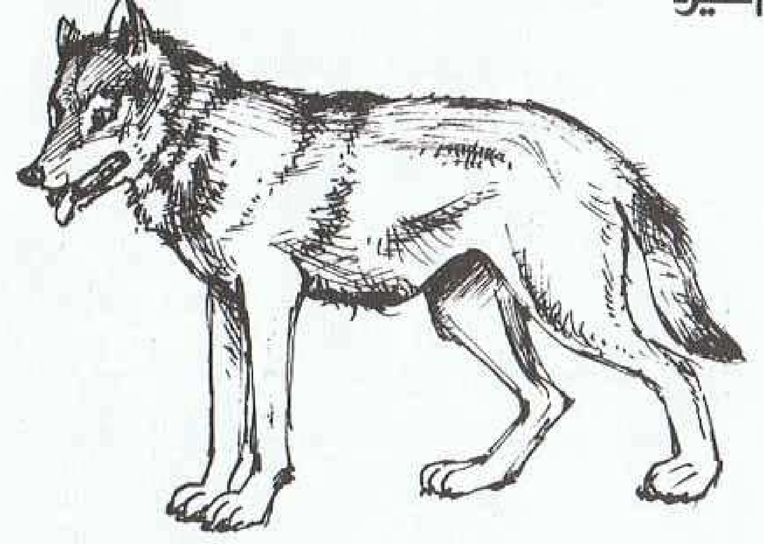
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠٩٥ - ٨

طبع في دار نوبار للطباعة

الناب الأبيض

السنابل

المغامرات المثيرة



تأليف : جاك لندن

أعدها بالعربية : مصطفى بكري أحمد البكري

راجعها : الدكتور إبراهيم عوض

رسوم : نسيم ج . نصيف

مكتبة لبنان



الفصل الأول

هَنْري وَبِلْ

تَعْني كَلِمَةُ نابٍ « السِّنَّ الطَّويلَةَ » . وَقَدْ أُطْلِقَ اسْمُ « النّاب الأَبْيَض » على أحدِ جراءِ ذِئْبَةٍ عَمِلَتْ في خِدْمَةِ بَني الإنْسانِ ، وَعَرَفَتْ عاداتِهِمْ ، وَلكِنَّها في النِّهايَةِ انْضَمَّتْ إلى قَطيعِ الذِّئاب . وَسَوْفَ نَلْتَقي بِها في الفَصْلِ الثّاني مِنَ القِصَّةِ ، وَهِيَ تُساعِدُ الذِّئابَ الجائِعَةَ في اسْتِدْراجِ الكِلابِ مِنَ المُخَيَّماتِ ؛ لِكَيْ تَلْتَهِمَها .

في الجُزْءِ الشَّمالِيِّ القَفْرِ مِنْ كَنَدا ، وَعَلى مَرْكَبَةِ جَليدٍ (زَحّافَةٍ) ، كانَ ثَمَّةَ رَجُلان يَتَحَرَّكانِ فَوْقَ الجَليدِ ، وَمَعَهُما صُنْدوقٌ بِداخِلِهِ جُثَّةُ أَحَدِ الأَثْرِياءِ كانَ قَدْ أَوْصى - بَعْدَ دَفْعِ النفقات - بِنَقْلِ جُثْمانِهِ إلى مَدْفِنٍ بِالقُرْبِ مِنْ مَوْطِنِهِ . وَكانَ عَلى المَرْكَبَةِ عِدَّةُ أَشْياءَ أُخْرى غَيْرُ الصُّنْدوقِ ، مِثْلُ غِطاءٍ ثَقيلٍ مِنَ الصّوفِ ، وَبَلْطَةٍ ، وَأَواني طَهْيٍ ، وَبُنْدُقِيَّةٍ .

وَكانَ يَجُرُّ المَرْكَبَةَ سِتَّةُ كِلابٍ يَتَجَمَّدُ بُخارُ الماءِ مِنْ أنْفاسِها فَوْرَ خُروجِهِ مِنْ أفْواهِها .

وكانَ يَمْشي أمامَ المَرْكَبَةِ أحَدُ الرَّجُلَيْنِ وَيُدْعى هَنْري ، عَلى حين كانَ يَمْشي خَلْفَها الرَّجُلُ الآخَرُ وَيُدْعى بِلْ . وَكانَ وَجْهاهُما مُغَطَّيَيْنِ بِالجَليدِ لِدَرَجَةٍ لا يَكادُ يَبِينُ مِنْهُما سِوى العَيْنَيْنِ فَقَطْ . وَأخَذا يُواصِلانِ السَّيْرَ في صَمْتٍ مُدَّخِرَيْنِ جَهْدَهُما لِحَرَكَةِ جَسَدَيْهِما .

وَانْقَضَتْ ساعَتانِ ، وَبَدَأ ضَوْءُ النَّهارِ القَصيرِ يَخْبو . وَفَجْأةً انْبَعَثَتْ صَرْخَةٌ خافِتَةٌ أخَذَتْ تَعْلو شَيْئاً فَشَيْئاً ثُمَّ تَلاشَتْ بِالتَّدْريجِ . وَالْتَفَتَ الرَّجُلُ الَّذي في المُقَدِّمَةِ خَلْفَهُ حَيْثُ الْتَقَتْ عَيْناهُ عَيْنَيِ الرَّجُلِ الآخَرِ ، وَكانَ الرَّجُلانِ يُدْرِكانِ مَغْزى هذِهِ الصَّرْخَةِ . وَانْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ ثانِيَةٌ مِنْ وَرائِهِما وَعَنْ يَسارِهِما .

قالَ هَنْري : « إنَّ الذِّئابَ في أثَرِنا ، يا بِلْ . »

* * *

هَبَطَ الظَّلامُ فَدَلَفا وَسْطَ بَعْضِ الأشْجارِ المُطِلَّةِ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ ، وَأقاما مُخَيَّماً . وَاتَّخَذا مِنَ الصُّنْدوقِ الطَّويلِ مَقْعَداً وَمِنْضَدَةً بِجِوارِ النّارِ . وَتَجَمَّعَتِ الكِلابُ بِجانِبِ بَعْضِها بَعْضاً عَلى الجانِبِ

الآخَرِ مِنَ النّارِ .

نَظَرَ بِلْ إلى الكِلابِ وَقالَ : « إنَّها تَحْرِصُ عَلى البَقاءِ بِالقُرْبِ مِنَ المُخَيَّمِ . »

قالَ هَنْري : « أجَلْ . » ثُمَّ ذَهَبَ وَجَلَسَ عَلى الصُّنْدوقِ وَبَدَأ يَأكُلُ ، وَجَلَسَ بِلْ إلى جِوارِهِ .

سَألَهُ بِلْ : « هَلْ لاحَظْتَ كَمْ كانَتِ الكِلابُ هائِجَةً عِنْدَما كُنْتُ أُطْعِمُها ؟ كَمْ كَلْباً لَدَيْنا ، يا هَنْري ؟ »

أجابَ هَنْري : « سِتَّةٌ . »

قالَ بِلْ : « لَقَدْ أخْرَجْتُ سِتَّ سَمَكاتٍ ، وَلكِنَّ الكَلْبَ المُسَمّى بِالأُذُنِ الواحِدَةِ لَمْ يَنَلْ سَمَكَةً ، وَلِهذا كانَ عَلَيَّ أنْ أعودَ لأُحْضِرَ سَمَكَةً أُخْرى ، وَبِذا صارَ العَدَدُ سَبْعاً . »

نَظَرَ هَنْري عَبْرَ النّارِ وَقالَ : « الآنَ توجَدُ سِتَّةُ كِلابٍ فَقَطْ . »

« لَقَدْ شاهَدْتُ كَلْباً مِنْها يَجْري بَعيداً عَلى الجَليدِ . رَأيْتُ آثارَ أقْدامِهِ ، ثُمَّ أحْصَيْتُ الكِلابَ فَوَجَدْتُها سِتَّةً . »

وَمِنْ جَوْفِ الظَّلامِ انْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ طَويلَةٌ كَئيبَةٌ ، فَجاوَبَتْها صَرَخاتٌ مُتَتابِعَةٌ ، وَتَجَمَّعَتِ الكِلابُ مَعاً دَلالَةً عَلى خَوْفِها .

أشارَ بِلْ نَحْوَ الظُّلْمَةِ الدّامِسَةِ ، وَكانَ هُناكَ زَوْجٌ مِنَ الأَعْيُنِ المُتَوَهِّجَةِ كالجَمْرِ . ثُمَّ شاهَدا زَوْجاً ثانِياً ثُمَّ ثالِثاً ... لَقَدْ كانَتْ حَوْلَ المُخَيَّمِ هالَةٌ مِنَ العُيونِ المُتَوَهِّجَةِ . وَفي انْدِفاعَةِ خَوْفٍ مُفاجِئَةٍ أَقْبَلَتِ الكِلابُ وَاخْتَبَأَتْ بَيْنَ سيقانِ الرَّجُلَيْنِ .

قالَ بِلْ : « آمُلُ أَنْ تَكونَ لَدَيْنا طَلَقاتٌ كافِيَةٌ لِلْبُنْدُقِيَّةِ . تُرى كَمْ طَلْقَةً بَقِيَتْ لَدَيْنا ؟»

أجابَ هَنْري : « ثَلاثٌ لَيْتَها كانَتْ ثَلاثَمِئَةِ طَلْقَةٍ !»

* * *

وَذَهَبا لِلاضْطِجاعِ .

قالَ هَنْري : « لِماذا لَمْ تُهاجِمْ كِلابُنا الكَلْبَ الغَريبَ الَّذي انْدَسَّ بَيْنَها وَأَخَذَ سَمَكَةً ؟ هَذا ما يُقْلِقُني .»

وَناما . وَضاقَتْ دائِرَةُ العُيونِ أَكْثَرَ ، وَتَجَمَّعَتِ الكِلابُ مَعاً ، ثُمَّ ارْتَفَعَتِ الجَلَبَةُ فاسْتَيْقَظَ بِلْ .

وَفَجْأَةً صاحَ : « هَنْري ! لَقَدْ أَصْبَحَ عَدَدُ الكِلابِ سَبْعَةً مَرَّةً أُخْرى . لَقَدْ أَحْصَيْتُها لِلتَّوِّ .»

بَزَغَ نورُ الصَّباحِ ، وَأَعَدَّ بِلْ الزَّحّافَةَ لِلرَّحيلِ .

قالَ بِلْ : « هَنْري ! كَمْ كَلْباً قُلْتَ لَدَيْنا ؟»

أجابَ هَنْري : « سِتَّةٌ .»

قالَ بِلْ : « خَطَأٌ !»

سَأَلَ هَنْري : « سَبْعَةٌ مَرَّةً أُخْرى ؟»

أجابَ بِلْ : « لا ! بَلْ خَمْسَةٌ ، فَقَدِ اخْتَفى كَلْبٌ . اخْتَفى الكَلْبُ السَّمينُ .»

الفصل الثاني

الذّئبة

في اللّيْلةِ التّاليةِ تَقارَبَتِ الصَّرَخاتُ . وَكانَ هَنْري يَطْهو الطَّعامَ عِنْدَما سَمِعَ صَيْحَةَ بِلْ ، ورَأى عَبْرَ الجَليدِ شَبَحاً أَسْوَدَ يَلُفُّهُ الظَّلامُ . كانَ بِلْ واقِفاً وَفي إحْدى يَدَيْهِ عَصاً ، وَفي اليَدِ الأُخْرى جُزْءٌ مِن سَمَكَةٍ مُقَدَّدَةٍ .

قالَ بِلْ : « لَقَدْ أَكَلَ نِصْفَها وَلكِنّي ضَرَبْتُهُ . تُرى ماذا يَكونُ ؟ كَلْباً أم ذِئباً ؟ إنَّهُ يَأتي في مَوْعِدِ تَناوُلِ الطَّعامِ ، مِثْلُهُ مَثَلُ الكِلابِ ، لِيَحْصُلَ عَلى نَصيبِهِ مِنَ السَّمَكِ .»

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي أَيْقَظَتْ هَنْري صَيْحاتُ بِلْ الغاضِبَةُ .

سَأَلَ هَنْري : « ماذا جَرى ؟»

أجابَ بِلْ : « لَقَدِ اخْتَفى الضِّفْدَعُ ، وَهُوَ أَقْوى الكِلابِ عَلى الإِطْلاقِ ، وَهُوَ لَيْسَ بِالكَلْبِ الأَحْمَقِ !» وَجَرَّ الزَّحّافَةَ أَرْبَعَةُ

كِلابٍ .

وَهَبَطَ اللّيْلُ ، وَتَقارَبَتِ الصَّرَخاتُ أَكْثَرَ . وَرَبَطَ هَنْري الكِلابَ إلى عَصاً طَويلَةٍ مُثَبَّتَةٍ في أَعْناقِها حَتّى لا يَنْقُصَ مِنْها أَحَدٌ .

كانا يُشاهِدانِ بِصُعوبَةٍ أَشْباحاً تَتَحَرَّكُ عَلى حافَةِ ضَوْءِ النّارِ ، وَانْبَعَثَ صَوْتٌ وَسْطَ الكِلابِ . وَكانَ ذو الأُذُنَيْنِ الكَبيرَتَيْنِ يُطْلِقُ صَرَخاتٍ سَريعَةً مَحْمومَةً جاذِباً العَصا الّتي رُبِطَ إلَيْها نَحْوَ الظَّلامِ . ثُمَّ ظَهَرَ في دائِرَةِ الضَّوْءِ حَيَوانٌ يُشْبِهُ الكَلْبَ ، وَكانَتْ عَيْناهُ مُثَبَّتَتَيْنِ عَلى الكِلابِ ، فَأَخَذَ ذو الأُذُنَيْنِ الكَبيرَتَيْنِ يَجْذِبُ عَصاهُ .

قالَ بِلْ : « إنَّ كَبيرَ الأُذُنَيْنِ الأَحْمَقَ لا يَبْدو خائِفاً .»

أجابَ هَنْري : « إنَّها ذِئْبَةٌ ، وَهِيَ تَسْتَدْرِجُ الكَلْبَ خارِجَ المُخَيَّمِ لِتَلْتَهِمَهُ الذِّئابُ . هذا ما حَدَثَ لِلْكَلْبِ السَّمينِ وَلِلضِّفْدَعِ . لَقَدِ اعْتادَتِ الذِّئْبَةُ المَجيءَ إلى المُخَيَّمِ في مَوْعِدِ الأَكْلِ .»

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي هَرَبَ كَلْبٌ يُدْعى « سبانكَر » ، وَكانَ هَنْري وَبِلْ قَدْ قَطَعا مِئَةَ مِتْرٍ عِنْدَما الْتَقَطَ هَنْري شَيْئاً ، اتَّضَحَ أَنَّهُ العَصا الّتي رُبِطَ إلَيْها سبانكَر . وَ واصَلا السَّفَرَ ، وَكانَ الظَّلامُ وَالبُرودَةُ قَدْ أَخَذا يَنْتَشِرانِ في الأَرْجاءِ . وَبَعْدَ ثَلاثِ ساعاتٍ خَيَّمَ الظَّلامُ الدّامِسُ ، فَأَخَذَ بِلْ البُنْدُقِيَّةَ قائِلاً : « اسْتَمِرَّ ، يا هَنْري .»

« يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَظَلَّ بِجوارِ الزَّحّافةِ ، فَلَيْسَ لَدَيْكَ سِوى ثَلاثِ طَلَقاتٍ فَقَطْ .»

وَبَعْدَ ساعَةٍ عادَ بِلْ قائِلاً : « لَقَدْ عادَتِ الذِّئابُ تَتبَعُنا ، فَهِيَ مُوقِنَةٌ من أنَّها سَوْفَ تنالُنا . إنَّها نَحيلَةٌ لِلْغايَةِ ، وَسُرْعانَ ما تُجَنُّ جوعاً ثُمَّ تُهاجِمُنا .»

وَبَعْدَ دَقائِقَ هَمَسَ هَنْري : « انْظُرْ !» فَأَوْقَفَ بِلْ الكِلابَ . وَعِنْدَ آخِرِ مُنْعَطَفٍ في الطَّريقِ رَأَياها : كانَ أَنْفُها مُتَّجِهاً إلى الأَرْضِ . وَعِنْدَما تَوَقَّفا تَوَقَّفَتْ هِيَ أَيْضاً وَرَفَعَتْ رَأْسَها .

قالَ بِلْ : « إنَّها الذِّئْبَةُ !» وَكانَتْ أَكْبَرَ حَجْماً مِنَ الذِّئْبِ العادِيِّ ؛ إذْ كانَ ارْتِفاعُها يَبْلُغُ ثَلاثَةَ أَرْباعِ المِتْرِ ، وَطولُها مِتْراً وَنِصْفَ المِتْرِ . وَكانَ لَوْنُها رَمادِيًّا مَشوباً بِحُمْرَةٍ .

قالَ بِلْ مُعَلِّقاً : « لَمْ أَرَ قَطُّ ذِئْباً أَحْمَرَ اللَّوْنِ . إنَّها أَكْثَرُ شَبَهاً بِكَلْبٍ ضَخْمٍ .» وَناداها قائِلاً : « مَرْحَباً ! أَنْتِ ! تَعالَيْ هُنا ، أَيًّا ما كانَ اسْمُكِ !»

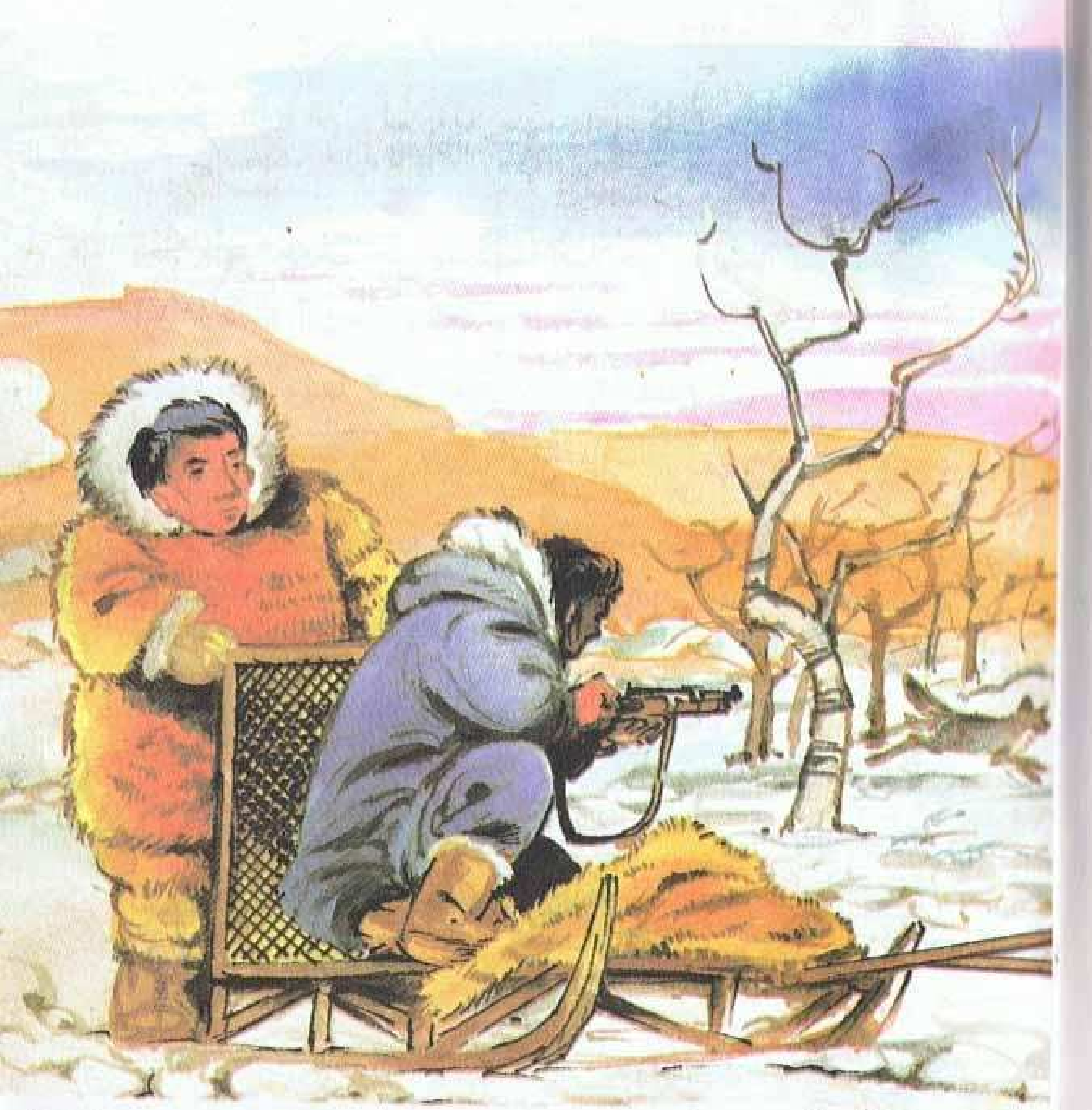
قالَ هَنْري ضاحِكاً : « يَبْدو أَنَّها لا تَخْشاكَ إطْلاقاً !»

نَظَرَتِ الذِّئْبَةُ إلَيْهِما ، وَلَمْ تَرَ فيهِما سِوى فَريسَةٍ ؛ إذْ كانَتْ جائِعَةً . فَقالَ بِلْ هامِساً : « اسْمَعْ ، لَدَيْنا ثَلاثُ طَلَقاتٍ ، وَأَنا لا

أُخْطِئُ الهَدَفَ . لَقَدِ اسْتَدْرَجَتْ ثَلاثَةً مِنْ كِلابِنا وَيَجِبُ أَنْ نوقِفَها عَنِ اسْتِدْراجِ المَزيدِ ؛ فَما قَوْلُكَ ؟»

أَجابَ هَنْري : « أُوافِقُ .»

وَأَرادَ بِلْ أَنْ يَرْفَعَ بُنْدُقِيَّتَهُ إلى كَتِفِهِ لِيُصَوِّبَ نَحْوَها ، وَلَكِنَّها لَمْ



تَكَدْ تَصِلْ إلى ما يُريدُ حتّى قَفَزَتِ الذِّئْبَةُ جانِباً ، وَانْطَلَقَتْ تَجْري وَسْطَ بَعْضِ الأشْجارِ وَاخْتَفَتْ .

قالَ بِلْ : « إنَّها تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ البَنادِقِ ، وَلكِنّي سَوْفَ أنالُها ! »

* * *

وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُفْقَدْ مِنْهُما أيُّ كَلْبٍ ، وَلكِنْ في اليَوْم التّالي اصْطَدَمَتِ الزَّحّافَةُ بِصَخْرَةٍ وَانْقَلَبَتْ ، وَكانَ عَلَيْهِما أنْ يَحُلّا مِنْها الكِلابَ حَتّى يُمْكِنَهُما إصْلاحُها . وَبَيْنَما كانا مُنْحَنِيَيْن فَوْقَ الزَّحّافَةِ رَأى هَنْري الكَلْبَ ذا الأذُنَيْن الكَبيرتَيْنِ يَجْري عَلى الجَليدِ ، وَخَلْفَهُما كانَتْ تَقْبَعُ الذِّئْبَةُ في انْتِظارِهِ .

وَعِنْدَما اقْتَرَبَ مِنْها أكْثَرَ تَراجَعَتْ هِيَ إلى الخَلْفِ ، وَخُطْوَةً خُطْوَةً كانَتْ تَقودُهُ بَعيداً عَنْهُما .

وَضَعَ هَنْري يَدَهُ عَلى ذِراعِ بِلْ ، وَقالَ : « إلى أيْنَ تَذْهَبُ ؟ »

انْدَفَعَ بِلْ داخِلَ الشُّجَيْراتِ القَريبَةِ مِنْهُما وَبِيَدِهِ البُنْدُقِيَّةُ .

صاحَ هَنْري : « بِلْ ! احْتَرِسْ ! »

ثُمَّ وَقَعَ المَحْذورُ ؛ سَمِعَ هَنْري طَلْقَةَ رَصاصٍ ثُمَّ طَلْقَتَيْنِ ، ثُمَّ

سَمِعَ ضَجَّةً شَديدَةً . وَسَمِعَ صَرْخَةَ ألَمٍ ، أعْقَبَها سُكونٌ . وَأدْرَكَ هَنْري ما حَدَثَ ، وَلَمْ تَكُنْ هُناكَ حاجَةٌ لِكَيْ يَذْهَبَ وَيَرى ، فَقَدْ لَقِيَ بِلْ مَصْرَعَهُ .

رَبَطَ هَنْري الكِلابَ إلى الزَّحّافَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ حَبْلاً فَوْقَ كَتِفِهِ ، وَأخَذَ يَجُرُّ المَرْكَبَةَ مَعَ الكِلابِ . وَعِنْدَ أوَّلِ خَيْطٍ مِنْ خُيوطِ الظَّلام أقامَ مُخَيَّماً ، وَأحْضَرَ حَطَباً كَثيراً لِيَسْتَدْفِئَ بِهِ ، وَأطْعَمَ الكِلابَ ، وَجَعَلَ فِراشَهُ بِالقُرْبِ مِنَ النّارِ . وَبَقِيَ الكَلْبانِ قَريباً مِنْهُ ، عَلى حين كانَتْ دائِرَةُ الذِّئابِ تَضيقُ أكْثَرَ فَأكْثَرَ .

وَفي الصَّباحِ جَرَّ الصُّنْدوقَ بِمُساعَدَةِ الكِلابِ ، وَ وَضَعَهُ فَوْقَ إحْدى الأشْجارِ ، وَهُوَ يُرَدِّدُ : « لَقَدْ ظَفِروا بِـ« بِلْ » وَرُبَّما يَظْفَرونَ بي ، وَلكِنَّهُمْ لَنْ يَظْفَروا بِذَلِكَ الرَّجُلِ المَيِّتِ المُسَجّى داخِلَ الصُّنْدوقِ . »

* * *

كانَتْ لَيْلَةً مُرْعِبَةً ؛ فَلَمْ يَجْسُرْ عَلى أنْ يَنامَ ، وَلكِنَّهُ جَلَسَ وَالبَلْطَةُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ . وَغَلَبَهُ النَّوْمُ لِلَحْظَةٍ ، وَعِنْدَما فَتَحَ عَيْنَيْهِ رَأى الذِّئْبَةَ أمامَهُ عَلى بُعْدِ عَشَرَةِ أمْتارٍ فَقَطْ . وَأخيراً غَلَبَهُ النَّوْمُ . وَلكِن أيْقَظَتْهُ جَلَبَةٌ فَظيعَةٌ ؛ كانَتِ الذِّئابُ تَلْتَفُّ حَوْلَهُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ،

وَقَدْ أطْبَقَتْ أنْيابُ واحِدٍ مِنْها على ذِراعِهِ ، فَأَخَذَ يُلْقي بِقِطَعِ الحَطَبِ المُشْتَعِلَةِ حَوْلَهُ في كُلِّ اتِّجاهٍ ، فَأَجْفَلَتِ الذِّئابُ وَارْتَدَّتْ على أعْقابِها وَلكِنَّ كَلْبَيْهِ كانا غَيْرَ مَوْجودَيْنِ .

صاحَ هَنْري في الذِّئابِ : « إنَّكُمْ لَمْ تَنالوا مِنّي بَعْدُ !» فَأَجابَتْهُ الذِّئابُ بِزَمْجَرَةٍ غاضِبَةٍ . وَأَقْبَلَتِ الذِّئْبَةُ تَمْشي فَوْقَ الجَليدِ ، وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ إلَيْهِ وَقَدِ اسْتَبَدَّ بِها الجوعُ .

وَصَنَعَ هَنْري دائِرَةً كَبيرَةً مِنَ النّارِ وَجَلَسَ في وَسَطِها . وَأَقْبَلَتِ الذِّئابُ إلى حافَتِها .

وَأخيراً انْبَلَجَ الصَّباحُ ، وَكانَتِ النّارُ موشِكَةً عَلى الخُمودِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ على أنْ يَتَخَطّى الدّائِرَةَ طَلَباً لِلْمَزيدِ مِنَ الحَطَبِ .

قالَ هَنْري لِلذِّئابِ : « يُمْكِنُكُمْ أنْ تَأْتوا إلَيَّ في أيِّ وَقْتٍ ، فَسَوْفَ أنامُ .»

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ لاحَظَ أنَّ تَغَيُّراً غامِضاً قَدْ حَدَثَ ؛ فَقَدْ رَحَلَتِ الذِّئابُ . وَسَمِعَ صِياحَ رِجالٍ ؛ فَقَدْ وَصَلَتْ أرْبَعُ زَحّافاتٍ إلى أعْلى مَجْرى النَّهْرِ ، وَأَقْبَلَ سِتَّةُ رِجالٍ إلى الرَّجُلِ الجالِس وَسَطَ دائِرَةِ النّارِ ، وَهَزّوهُ لِكَيْ يَسْتَيْقِظَ .

قالَ هَنْري : « الذِّئْبَةُ الحَمْراءُ ! لَقَدِ انْدَسَّتْ وَسْطَ الكِلابِ في

مَوْعِدِ تَناوُلِ الطَّعامِ ، وَالْتَهَمَتْ طَعامَ الكِلابِ في مَبْدَإِ الأمْرِ ، ثُمَّ الْتَهَمَتِ الكِلابَ ، وَأخيراً الْتَهَمَتْ بِلْ .»

سَأَلَهُ الرِّجالُ : « أيْنَ اللّورد ألفريد ؟»

أجابَ هَنْري : « في الصُّنْدوقِ – أعْلى الشَّجَرَةِ . دَعوني وَشَأْني وَتُصْبِحونَ بِخَيْرٍ .»

وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَتَدَلّى رَأْسُهُ عَلى صَدْرِهِ . وَمِنْ بَعيدٍ كانَتْ صَرَخاتُ الذِّئابِ الجائِعَةِ تَأْتي واهِنَةً ، فَقَدْ ذَهَبَتْ تَبْحَثُ عَنْ فَريسَةٍ أُخْرى غَيْرَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذي أفْلَتَ مِنْ أنْيابِها .

الفصل الثالث

مَوْلِدُ النابِ الأبْيَض

كانَتِ الذِّئْبَةُ هِيَ أَوَّلَ مَنْ سمعَ أَصْواتَ الرِّجالِ ، وَكانَتْ أَوَّلَ مَنْ تَرَكَ المكانَ الَّذي تَوَسَّطَ فيهِ هَنْري دائِرَةَ النّارِ ، ثُمَّ تَبِعَها الآخَرونَ . وَكانَ يَقودُ الذِّئابَ ذِئْبٌ كَبيرٌ رَماديُّ اللَّوْنِ أَعْوَرُ. وَكانَتِ الذِّئْبَةُ تَجْري إلى جِوارِهِ . وَكانَ الذِّئْبُ الأعْوَرُ يَبْدو شَديدَ الحَدَبِ عَلَيْها ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ يُكَشِّرُ عَنْ أَنْيابِهِ عِنْدَما كانَتْ تَسْبِقُهُ ، وَلكِنَّها كانَتْ تُكَشِّرُ عَنْ أَنْيابِها عِنْدَما كانَ يُحاوِلُ الاقْتِرابَ مِنْها أَكْثَرَ مِنَ اللازِمِ . وَذاتَ مَرَّةٍ عَقَرَتْ كَتِفَهُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ بَلْ قَفَزَ جانِباً مُتَجَنِّباً إيّاها .

وَعَبَرَتِ الذِّئابُ تِلالاً وَأَوْدِيَةً وَجَداوِلَ ، ثُمَّ رَأَتْ أَيِّلاً كَبيرَ الحَجْمِ. ها هُوَ ذا لَحْمٌ وَفيرٌ لا تَحْرُسُهُ النيرانُ ! وَلَمْ تَدُمِ المَعْرَكَةُ طَويلاً ، فَقَدْ سَقَطَ الأَيِّلُ صَريعاً ، فَأَطْبَقَتِ الذِّئْبَةُ بِأَنْيابِها عَلى رَقَبَتِهِ ، عَلَى حين

كانَتِ الذِّئابُ الأُخْرى تَنْهَشُ جَسَدَهُ ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ حَيّاً .

وَكانَ نَصيبُ كُلِّ ذِئْبٍ كَمِّيَّةً كَبيرَةً مِنَ اللَّحْمِ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنَ الأَيِّلِ إلّا بَعْضُ العِظامِ . ثُمَّ أَعْقَبَ الوَليمَةَ كَثيرٌ مِنَ الرّاحَةِ وَالنَّوْمِ ثُمَّ كَثيرٌ مِنَ الشِّجارِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَتْ بَعْضُ الذِّئابِ في اتِّجاهٍ وَبَعْضُها الآخَرُ في اتِّجاهٍ آخَرَ .

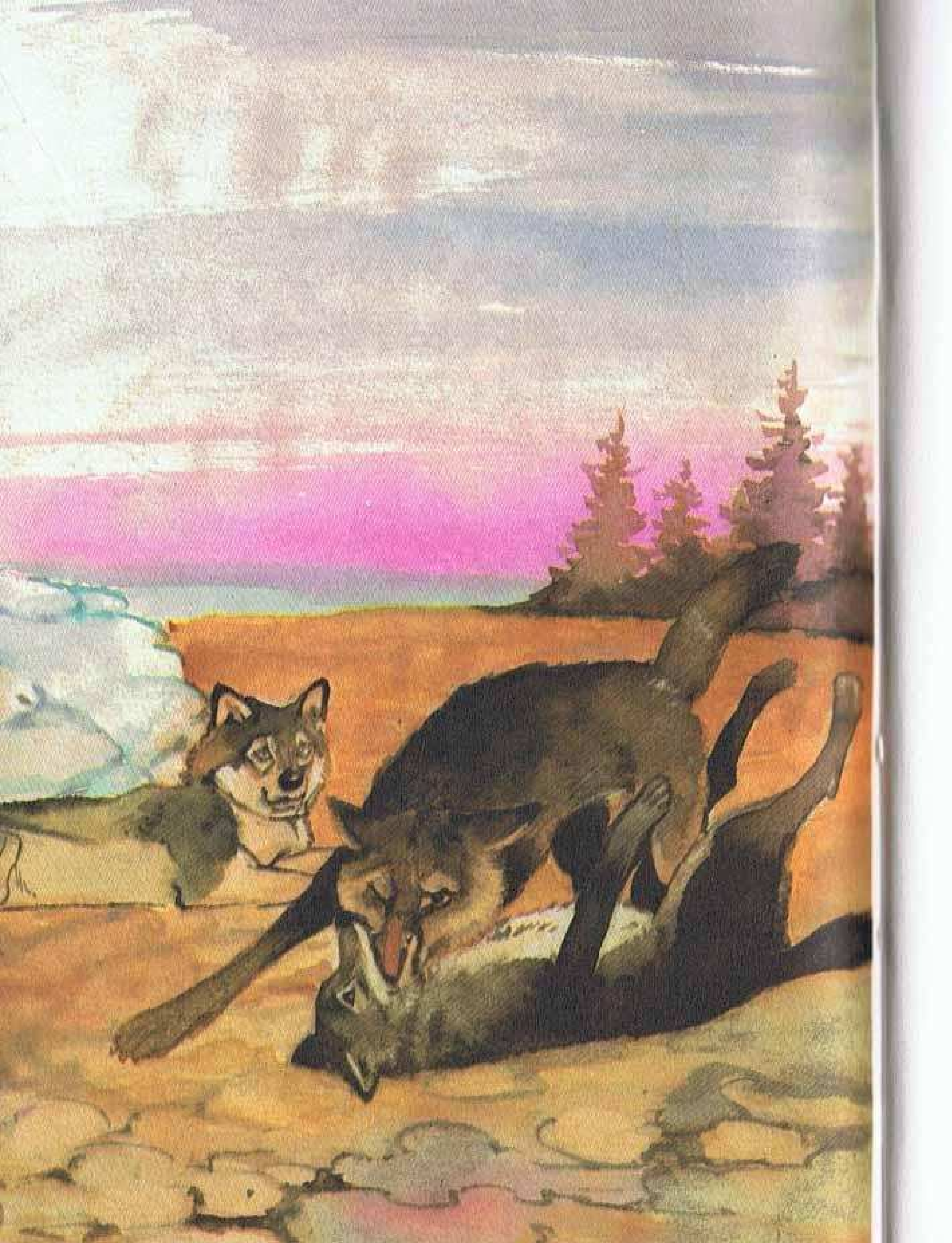
وَكانَتِ الذِّئْبَةُ – وَعَنْ يَسارِها ذِئْبٌ صَغيرٌ وَعَنْ يَمينِها الذِّئْبُ الكَبيرُ الأَعْوَرُ – تَقودُ نِصْفَ الذِّئابِ إلى الشَّرْقِ مَعَ مَجْرى النَّهْرِ حَتّى إقْليمِ البُحَيْراتِ .

وَفي كُلِّ يَوْمٍ كانَتِ الذِّئابُ تَرْحَلُ مَثْنَى مَثْنَى ، وَفي النِّهايَةِ تَبَقّى أَرْبَعَةٌ فَقَطْ هِيَ : الذِّئْبَةُ ، وَالأَعْوَرُ ، وَالذِّئْبُ الصَّغيرُ ، وَذُؤَيْبٌ عُمْرُهُ ثَلاثُ سَنَواتٍ .

* * *

وَ وَقَعَتْ مَعْرَكَةٌ ؛ إذْ هاجَمَ الأعْوَرُ وَمَعَهُ الذِّئْبُ الصَّغيرُ الذُّؤَيْبَ ذا ثَلاثِ السَّنواتِ . لَقَدْ نَسِيَتِ الذِّئابُ العَهْدَ الَّذي خَرَجَتْ فيهِ لِلصَّيْدِ مَعاً ، وَالمَسْأَلَةُ الآنَ هِيَ مَسْأَلَةُ الرَّغْبَةِ في التَّكاثُرِ ، وَهِيَ أَشَدُّ ضَراوَةً مِنْ مَسْأَلَةِ الحُصولِ عَلى الغِذاءِ .

قَبَعَتِ الذِّئْبَةُ تُشاهِدُ المَعْرَكَةَ ، وَبَدا أَنَّها مَسْرورَةٌ . وَقُتِلَ الذُّؤَيْبُ



عَلى حينَ وَقَفَ الآخَرانِ حَوْلَ جُثَّتِهِ . وَعِنْدَما الْتَفَتَ الذِّئْبُ الصَّغيرُ نَحْوَ جُرْحٍ في كَتِفِهِ ، انْتَهَزَ الأَعْوَرُ الفُرْصَةَ وَانْقَضَّ عَلَيْهِ وَأَطْبَقَ فَكَّيْهِ عَلى عُنُقِهِ ، فَقَفَزَ الذِّئْبُ الصَّغيرُ ، وَلَكِنَّ الدَّمَ تَفَجَّرَ مِنْ رَقَبَتِهِ ، وَما لَبِثَ أَنْ خَرَّ صَريعاً .

وَانْطَلَقَ الأَعْوَرُ بِجانِبِ الذِّئْبَةِ كَصَديقَيْنِ حَميمَيْنِ مُتَفاهِمَيْنِ . وَمَرَّتِ الأَيّامُ وَهُما لا يَفْتَرِقانِ ؛ إِذْ يَقْتَنِصانِ فَريسَتَهُما وَيَقْتُلانِها وَيَلْتَهِمانِها مَعاً .

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ انْتابَ الذِّئْبَةَ قَلَقٌ ، وَبَدا أَنَّها تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ ما – جُحْرٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ أَوْ شَقٍّ كَبيرٍ في الصَّخْرِ أَوْ كَهْفٍ . مِثْلُ هذِهِ الأَشْياءِ هِيَ الَّتي كانَتْ تَسْتَحْوِذُ عَلى اهْتِمامِها حينَئِذٍ .

وَغَدَتِ الذِّئْبَةُ ثَقيلَةَ الخُطى ، وَلا تَسْتَطيعُ أَنْ تَعْدُوَ كَسابِقِ عَهْدِها . وَذاتَ مَرَّةٍ كانَتْ تَجْري في إِثْرِ أَرْنَبٍ ، وَلَكِنَّها تَوَقَّفَتْ وَرَقَدَتْ لِتَسْتَريحَ . وَحينَ اقْتَرَبَ مِنْها الأَعْوَرُ هَمَّتْ أَنْ تَعْقِرَهُ ، وَلَكِنَّهُ تَراجَعَ مُبْتَعِداً عَنْها .

وَفي إِحْدى اللَّيالي المُقْمِرَةِ تَوَقَّفَ الذِّئْبُ الأَعْوَرُ فَجْأَةً ؛ لَقَدِ اشْتَمَّ رائِحَةً ما ، وَلَكِنْ يَبْدو أَنَّ الذِّئْبَةَ قَدْ فَهِمَتِ الرِّسالَةَ الَّتي حَمَلَها الهَواءُ ، فَانْطَلَقَتْ يَتْبَعُها الأَعْوَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ – عَلى ما يَبْدو –

كانَ في شكٍّ مِنَ الأمرِ . لَقَدْ سَمِعَتِ الذِّئْبَةُ نُباحَ كِلابٍ وَأَصْواتَ رِجالٍ ونساءٍ ، وَصُراخَ أَحَدِ الأَطْفالِ . وَكانَتْ ثَمَّةَ نارٌ مُشْتَعِلَةٌ وَخِيامٌ لأَحَدِ مُعَسْكَراتِ الهُنودِ الأَمْريكِيّينَ . وَكانَتِ الذِّئْبَةُ تَبْدو مَسْرورَةً ؛ إِذِ ارْتَسَمَتْ في عَيْنَيْها نَظْرَةٌ وَكَأَنَّها تَذَكَّرَتْ بَعْضَ الأَيّامِ الخَوالي السَّعيدَةِ ، الَّتي وَلَّتْ مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ . ثُمَّ أَرادَتْ أَنْ تَصِلَ إِلى النّارِ ، وَتَنْدَسَّ بَيْنَ الكِلابِ وَأَقْدامِ الرِّجالِ ، غَيْرَ أَنَّ القَلَقَ انْتابَها ثانِيَةً ، وَشَعَرَتْ بِحاجَتِها إِلى إِيجادِ المَكانِ الَّذي تَنْشُدُهُ كَيْ تَضَعَ فيهِ صِغارَها .

* * *

وَأَخيراً وَجَدَتْ ما كانَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ . كانَتْ ثَمَّةَ ضِفَّةٌ عالِيَةٌ ناتِئَةٌ تُشْرِفُ عَلى أَحَدِ الجَداوِلِ ، وَفي أَسْفَلِها كَهْفٌ صَغيرٌ دَخَلَتْهُ مِنْ فُتْحَتِهِ الضَّيِّقَةِ . وَكانَ أَكْثَرَ اتِّساعاً مِنَ الدّاخِلِ ، كَما كانَ جافّاً وَمُريحاً . وَاسْتَدارَتِ الذِّئْبَةُ وَرَقَدَتْ عَلى الأَرْضِ وَرَأْسُها مُتَّجِهٌ نَحْوَ المَدْخَلِ .

وَتَمَدَّدَ الذِّئْبُ الأَعْوَرُ عِنْدَ المَدْخَلِ وَنامَ . وَاسْتَيْقَظَ عَلى صَوْتِ خَريرِ مِياهٍ خافِتٍ . وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، وَكانَ عَبَقُ الرَّبيعِ يَمْلأُ الأَجْواءَ ، وَحَرَكَةُ الحَياةِ تَدِبُّ تَحْتَ الجَليدِ . وَكانَتِ الطُّيورُ تَطيرُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَكانَ يَسْمَعُ تَغْريدَها .

وَذَهَبَ إِلى حَيْثُ تَرْقُدُ الذِّئْبَةُ ، وَحاوَلَ أَنْ يَحُثَّها عَلى النُّهوضِ فَزَمْجَرَتْ . وَكانَ جائِعاً فَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ طَعامٍ . وَلَمّا عادَ بَعْدَ عِدَّةِ ساعاتٍ ، كانَتْ تَصْدُرُ مِنْ داخِلِ الكَهْفِ أَصْواتٌ غَريبَةٌ خافِتَةٌ . وَعِنْدَما رَأَتْهُ الذِّئْبَةُ مُقْبِلاً كَشَّرَتْ عَنْ أَنْيابِها ، فَنامَ عِنْدَ مَدْخَلِ الكَهْفِ . وَعِنْدَ إِشْراقَةِ الصَّباحِ نَظَرَ داخِلَ الكَهْفِ فَوَجَدَ خَمْسَةَ جِراءٍ ذَواتِ أَجْسامٍ صَغيرَةٍ غَريبَةٍ ، تَصْدُرُ عَنْها أَصْواتٌ واهِنَةٌ .

وَشَعَرَ الأَعْوَرُ بِالحاجَةِ إِلى عَمَلِ شَيْءٍ . كانَتْ بِداخِلِهِ غَريزَةٌ وَرِثَها عَنْ جَميعِ آبائِهِ الذِّئابِ ، تَدْفَعُهُ إِلى أَنْ يَذْهَبَ لِيَقْتَنِصَ ، كانَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْضِرَ فَريسَةً . وَأَثْناءَ بَحْثِهِ لَمَحَ طائِراً يُشْبِهُ الدَّجاجَ يَحُطُّ عَلى شَجَرَةٍ مُلْقاةٍ عَلى الأَرْضِ . وَما إِنْ رَآهُ الطّائِرُ حَتّى حاوَلَ التَّحْليقَ ، وَلَكِنَّ الأَعْوَرَ عاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ ثُمَّ أَمْسَكَ بِهِ بَيْنَ فَكَّيْهِ ، وَبَدَأَ يَلْتَهِمُهُ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ الجِراءَ فَقَفَلَ راجِعاً إِلى الكَهْفِ .

الفصل الرابع

النّابُ الأبْيَضُ يَشْتَدُّ عودُه

كانَ أحدُ هَذِهِ الجِراءِ مُخْتَلِفاً تَماماً عَنْ إخْوَتِهِ ، فَقَدْ كانَ أكْثَرَ شَبَهاً بِأبيهِ ، وَكانَ أكْبَرَ وَأقْوى عُضْوٍ في الأسْرَةِ ، وَسَوفَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ فيما بَعْدُ اسْمُ « النّاب الأبْيَض » . وَخِلالَ الشَّهْرِ الأوَّلِ مِنْ مَوْلِدِهِ كانَ يَقْضي مُعْظَمَ الوَقْتِ نائِماً . ثُمَّ تَفَتَّحَتْ عَيْناهُ ، وَاسْتَطاعَ أنْ يَرى جَيِّداً ، فَكانَ يَظَلُّ مُسْتَيْقِظاً لِفَتْرَةٍ أطْوَلَ مِنْ ذي قَبْلُ . وَكانَ عالَمُهُ صَغيراً جِدًّا ، وَلَكِنَّهُ كانَ يُدْرِكُ أنَّ أحَدَ جِدارَيْ هَذا العالَم يَخْتَلِفُ تَماماً عَنِ الجِدارِ الآخَرِ : كانَ ذَلِكَ هُوَ جِدارَ النّورِ .

وَطوالَ الشَّهْرِ الأوَّلِ مِنْ عُمْرِهِ كانَ يَرْضَعُ لَبَنَ أمِّهِ ، وَلَكِنَّهُ بَعْد أنْ تَجاوَزَ عُمْرُهُ شَهْراً ، بَدَأ يَتَناوَلُ اللَّحْمَ مَعَ إخْوَتِهِ بَعْدَ أنْ تَمْضُغَهُ أمُّهُ . أمّا أبوهُ فَكانَ يَخْتَرِقُ جِدارَ النّورِ ذاكَ لِيَحْصُلَ عَلى الغِذاءِ .

وَسَرْعانَ ما شَعَرَ بِالجوعِ ، مِثْلُهُ في ذَلِكَ مَثَلُ سائِرِ الحَيَواناتِ

البَرِّيَّةِ الَّتي تَعيشُ في ذَلِكَ الجُزْءِ القَفْرِ مِنْ شَمالِ كَنَدا . وَأتى حينٌ تَوَقَّفَ فيهِ تَموينُ اللَّحْمِ ، وَأخَذَتِ الجِراءُ تَصيحُ جوعاً حَتّى غَلَبَها النَّوْمُ . وَكانَتِ الحَياةُ الَّتي في أجْسادِها تَخْبو .

وَكانَ الذِّئْبُ الأعْوَرُ يَزْدادُ تَوَغُّلاً وَابْتِعاداً عَنِ الكَهْفِ بَحْثاً عَن الغِذاءِ . كَما كانَتِ الذِّئْبَةُ تَتْرُكُ صِغارَها وَتَخْرُجُ لِلْبَحْثِ عَن اللَّحْمِ .

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ النّابُ الأبْيَضُ ، ذاتَ مَرَّةٍ ، وَجَدَ أخْتاً واحِدَةً مِنْ إخْوَتِهِ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، أمّا الباقي فَقَدْ هَلَكَ . وَعِنْدَما اشْتَدَّ عودُهُ كانَ عَلَيْهِ أنْ يَلْعَبَ وَحْدَهُ ؛ لأنَّ أخْتَهُ الباقِيَةَ لَمْ تَعُدْ تَقْوى عَلى أنْ تَرْفَعَ رَأسَها أوْ أنْ تَتَحَرَّكَ ، فَقَدْ طالَ نَوْمُها . وَأخيراً انْطَفَأتْ فيها شُعْلَةُ الحَياةِ الواهِنَةُ .

وَأتى حينٌ لَمْ يَعُدِ النّابُ الأبْيَضُ يَرى فيهِ أباهُ يَظْهَرُ أوْ يَخْتَفي خِلالَ جِدارِ النّورِ . أمّا الذِّئْبَةُ فَقَدْ أدْرَكَتْ سَبَبَ غِيابِ الأعْوَرِ ، فَخَرَجَتْ وَحْدَها لِلْبَحْثِ عَنْ غِذاءٍ مُتَتَبِّعَةً أثَرَهُ ، فَوَجَدَتْ ما يَدُلُّ عَلى وُقوعِ مَعْرَكَةٍ شَرِسَةٍ ، كَما وَجَدَتْ بَعْضَ ما تَبَقّى مِنْ عِظامِهِ .

وَعَلى مَرِّ الأيّامِ أخَذَ النّابُ الأبْيَضُ يَزْدادُ قُوَّةً ، وَبِسيقانِهِ القَصيرَةِ الغَضَّةِ بَدَأ يَخْطو خُطُواتِهِ إلى العالَمِ الخارِجِيِّ ؛ فَاخْتَرَقَ جِدارَ



النّور ، الّذي كانَ أشَدَّ سَطوعًا في الخارجِ . وَعِنْدَما نَظَرَ إلى العالَم الخارجيِّ شَعَرَ بِالخَوْفِ يَنْتابُهُ ، غَيْرَ أنَّهُ خَطا بِضْعَ خُطُواتٍ إلى الأمامِ ، ثُمَّ سَقَطَ وَتَدَحْرَجَ على الضِّفَّةِ نَحوَ الجَدْوَلِ ، وَلَكِنَّهُ واصَلَ سَيْرَهُ بِطَريقَةٍ أفْضَلَ . لَقَدْ كانَ يَتَعَلَّمُ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُ سيقانَهُ . وَلَطَّخَتْهُ الأوْحالُ فَقَعَدَ وَأَخَذَ يَلْعَقُها بِلِسانِهِ ، ثُمَّ تابَعَ سَيْرَهُ حَتّى عَثَرَ على فَريسَةٍ .

لَقَدْ وَجَدَ عُشَّ دَجاجٍ بَرِّيٍّ مُخْتَفِيًا وَسْطَ إحْدى الشُّجَيْراتِ ، فَسَقَطَ فيهِ بَيْنَ سَبْعَةِ دَجاجاتٍ بَرِّيَّةٍ صَغيرَةٍ . وَأَخَذَ يَشُمُّ فَرْخًا مِنْها ، وَالْتَقَطَهُ بِفَمِهِ ثُمَّ أطْبَقَ عَلَيْهِ بِأَسْنانِهِ ؛ فَسالَ الدَّمُ في فَمِهِ . وَ وَجَدَ المَذاقَ طَيِّبًا فالْتَهَمَهُ ثُمَّ الْتَهَمَ الدَّجاجاتِ كُلَّها . وَعِنْدَ خُروجِهِ سَمِعَ صَفْقَ جَناحَيْنِ غاضِبَيْنِ ؛ لَقَدْ عادَتِ الأُمُّ ، فَقَبَضَ بِأَسْنانِهِ على أحَدِ جَناحَيْها وَجَذَبَهُ . كانَتِ تِلْكَ هِيَ المَعْرَكَةَ الأولى بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِ . وَأَخَذَتِ الأُمُّ تَضْرِبُهُ بِجَناحِها الآخَرِ ، ثُمَّ جَذَبَتْهُ خارِجَ الشُّجَيْرَةِ فَجَذَبَها النّابُ الأبْيَضُ بَعيدًا عَنْها ، فاسْتَدارَتْ وَنَقَرَتْهُ في أنْفِهِ عِدَّةَ مَرّاتٍ أسالَتِ الدَّمَ مِنْهُ وَجَعَلَتْهُ يَتَأَلَّمُ ، فارْتَدَّ إلى الخَلْفِ ، وَهُوَ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الألَمِ ، وَفَرَّ هارِبًا . وَرَقَدَ تَحْتَ شُجَيْرَةٍ ، وَكانَ يُخامِرُهُ إحْساسٌ بِأَنَّ خَطَرًا مُرَوِّعًا سَوْفَ يَقَعُ . وَما لَبِثَ أنْ رَأى طائِرًا كَبيرًا أسْوَدَ اللَّوْنِ يَهْبِطُ مِنَ السَّماءِ ، وَيَنْقَضُّ على الدَّجاجَةِ الأُمِّ

وَيَحْمِلُها بَعيداً .

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ الشُّجَيْرَةِ ، وَقَدْ تَعَلَّمَ دَرْساً مِنْ نَواميسِ الكائِناتِ الحَيَّةِ وَقَوانينِها ؛ فالكائِناتُ الحَيَّةُ الكَبيرَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ مَصْدَرَ أَذًى ، كَما أَنَّها تَقْتُلُ الكائِناتِ الحَيَّةَ الَّتي تَصْغُرُها : فَكُلُّ كائِنٍ حَيٍّ إِمّا آكِلٌ وَإِمّا مأكولٌ ؛ وَكانَ ذلِكَ هُوَ الدَّرْسَ الَّذي تَعَلَّمَهُ مِنْ مَدْرَسَةِ الغابَةِ .

وَبَعْدَ ذلِكَ كانَ يَخْرُجُ لِلصَّيْدِ مَعَ أُمِّهِ الَّتي كانَتْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَقْتَنِصَ الفَرائِسَ ؛ لأَنَّها لا تَخافُ مُطْلَقاً . وَمَرَّةً أُخْرى حَلَّتْ فَتْرَةٌ مِنَ الجوعِ ، وَلَمْ تَعُدِ الذِّئْبَةُ تَنامُ في الكَهْفِ ، بَلْ كانَتْ تُمْضي أَكْثَرَ وَقْتِها بَحْثاً عَنِ الغِذاءِ ، فَكانَتْ تَجِدُ القَليلَ مِنْهُ وَأَحْياناً لا تَجِدُ شَيْئاً . وَأَضْحى النّابُ الأَبْيَضُ يَحْصُلُ على ما يُمْكِنُ الحُصولُ عَلَيْهِ مِنَ الغِذاءِ لِنَفْسِهِ ، وَباتَ يَدْرُسُ أَساليبَ حَياةِ الحَيَواناتِ الصَّغيرَةِ كالفِئْرانِ وَالطُّيورِ .

وَأَتَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ بِوَشَقٍ رَضيعٍ ، فَالْتَهَمَهُ وَحْدَهُ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنامَ . وَالوَشَقُ قِطٌّ مُتَوَحِّشٌ ضَخْمٌ . وَكانَتْ أُمُّهُ قَدِ الْتَهَمَتْ جَميعَ الأَوْشاقِ الأُخْرى الرَّضيعَةِ .

وَأَيْقَظَتْهُ مَعْرَكَةٌ شَرِسَةٌ كانَتْ تَدورُ بَيْنَ أُمِّهِ وَ وَشَقَةٍ ضَخْمَةٍ ،

فَهَبَّ النّابُ الأَبْيَضُ وَذَهَبَ إِلى جانِبِ أُمِّهِ فَدَفَعَتْهُ إِلى الخَلْفِ ، وَلكِنَّهُ قَفَزَ إِلى الأَمامِ ، وَقَبَضَ بِأَسْنانِهِ على ساقِ الوَشَقَةِ الخَلْفِيَّةِ . وَأَدّى ثِقْلُ جِسْمِهِ إِلى شَلِّ حَرَكَةِ الوَشَقَةِ مِمّا ساعَدَ أُمَّهُ كَثيراً . وَقَدْ سَدَّدَتِ الوَشَقَةُ ضَرْبَةً لِلنّابِ الأَبْيَضِ أَصابَتْهُ في كَتِفِهِ ، وَلكِنْ عِنْدَ نِهايَةِ المَعْرَكَةِ كانَ النّابُ الأَبْيَضُ لا يَزالُ مُمْسِكاً بِرِجْلِ الوَشَقَةِ الَّتي صَرَعَتْها أُمُّهُ . غَيْرَ أَنَّها خَرَجَتْ مِنَ المَعْرَكَةِ ضَعيفَةً وَمُثْخَنَةً بِالجِراحِ . وَلَمْ تُغادِرِ الأُمُّ الكَهْفَ لِعِدَّةِ أَيّامٍ إِلّا لِتَشْرَبَ ، وَكانَتْ حَرَكاتُها بَطيئَةً ، وَلكِنَّها بَعْدَ أَنِ الْتَهَمَتِ الوَشَقَةَ كُلَّها ، اسْتَرَدَّتْ قُوَّتَها بِحَيْثُ عادَتْ إِلى الصَّيْدِ مَرَّةً أُخْرى . أَمّا النّابُ الأَبْيَضُ فَكانَتْ كَتِفُهُ تُؤْلِمُهُ لِلْغايَةِ ، وَكانَ يَمْشي بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ لِفَتْرَةٍ مِنَ الوَقْتِ . وَلكِنَّهُ كانَ أَكْثَرَ ثِقَةً بِنَفْسِهِ ، وَأَكْثَرَ شَراسَةً وَخُطورَةً ، وَاسْتِعْداداً لِلْقِتالِ عَنْ ذي قَبْلُ .

وَعِنْدَما خَرَجَ لِلصَّيْدِ مَعَ أُمِّهِ تَأَكَّدَ لَدَيْهِ ما سَبَقَ أَنْ تَعَلَّمَهُ ؛ فَهُوَ في الغابَةِ إِمّا قاتِلٌ أَوْ مَقْتولٌ وَإِمّا آكِلٌ أَوْ مأكولٌ .

وَغَدا النّابُ الأَبْيَضُ يَتَدَفَّقُ حَيَوِيَّةً وَسَعادَةً ، كَما كانَ شَديدَ الاعْتِدادِ بِنَفْسِهِ . وَكانَ كُلَّما امْتَلأَ جَوْفُهُ بِاللَّحْمِ تَمَدَّدَ في كَسَلٍ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الدّافِئَةِ .

الفصل الخامس

النّابُ الأبْيَضُ وَالهُنود

كانَ النّابُ الأبْيَضُ سائِرًا ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ أمامَهُمْ فَجْأةً ؛ لأنّهُ لَمْ يَكُنْ حَذِرًا . وَعَبَرَ مَكانًا مَكْشوفًا ، وَدَخَلَ وَسَطَ بَعْضِ الأشْجارِ ، وَرَآهُمْ وَاشْتَمَّ رائِحَتَهُمْ خَمْسَةَ مَخْلوقاتٍ حَيَّةٍ جالِسَةً عَلى الأرْضِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ رَأى قَطُّ مِثْلَ هَذِهِ المَخْلوقاتِ مِنْ قَبْلُ . لَقَدْ كانَتِ المَرَّةَ الأولى الّتي يَرى فيها بَشَرًا .

لَمْ يَقْفِزِ الرِّجالُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ، وَلَمْ يُكَشِّروا عَنْ أنْيابِهِمْ ، وَلَمْ يُصْدِروا ضَجيجًا صاخِبًا ، وَلَمْ يَتَحَرَّكوا بَلْ جَلَسوا هُناكَ في سُكونٍ . وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الجَرْوُ ؛ إذْ كانَ لَدَيْهِ إحْساسٌ بِضَعْفِهِ وَضَآلَتِهِ . هَذِهِ المَخْلوقاتُ الخَمْسَةُ كانَتْ سادَةً ، وَأقْوِياءَ ، وَلَمْ يَكُنْ في مَقْدورِهِ التَّغَلُّبُ عَلَيْها . لَقَدْ كانَ هذا هُوَ الشُّعورَ الّذي نَمى إلَيْهِ عَنْ طَريقِ أمِّهِ .

وَهَبَّ أحَدُ الهُنودِ واقِفًا ، وَمَشى نَحْوَهُ ، فَكَشَّرَ الجَرْوُ عَنْ أنْيابِهِ ، فَضَحِكَ الرَّجُلُ قائِلاً : « انْظُروا الأنْيابَ البَيْضاءَ ! »

وَضَحِكَ الهُنودُ الآخَرونَ وقالوا : « هاتِهِ . » وَبَيْنَما أخَذَتْ يَدُ الرَّجُلِ تَقْتَرِبُ مِنْهُ ، كانَتْ تَدورُ مَعْرَكَةٌ في رَأسِ الجَرْوِ : هَلْ يَدَعُ الرَّجُلَ يَلْمِسُهُ ، أمْ عَلَيْهِ أنْ يُقاتِلَهُ ؟ وَما كادَتْ يَدُ الرَّجُلِ تَلْمِسُهُ حَتّى عَضَّها . وَفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ تَلَقّى ضَرْبَةً عَلى جانِبِ رَأسِهِ جَعَلَتْهُ يَسْقُطُ عَلى جَنْبِهِ ، فَراحَ يَعْوي مُتَألِّمًا . وَعَلا ضَحِكُ الهُنودِ الخَمْسَةِ بِما فيهِمُ الرَّجُلُ الَّذي كانَ قَدْ عَضَّهُ ، وَمِنْ حَوْلِهِ وَقَفَ الرِّجالُ يُقَهْقِهونَ . وَفَجْأةً سَمِعَ صَوْتًا سَمِعَهُ الهُنودُ أيْضًا ، فَتَوَقَّفَ عَنِ العُواءِ وَانْتَظَرَ حُضورَ أمِّهِ – أمِّهِ الرّائِعَةِ الّتي قاتَلَتْ وَصَرَعَتْ كُلَّ مَخْلوقٍ ، وَلَمْ تُحِسَّ خَوْفًا قَطُّ .

قَفَزَتِ الذِّئْبَةُ وَسَطَ الجَمْعِ ، فَصاحَ الجَرْوُ صَيْحَةَ ابْتِهاجٍ ، وَذَهَبَ لِيُقابِلَها ، فَوَقَفَتْ أمامَهُ في مُواجَهَةِ الرِّجالِ وَقَدِ انْتَصَبَ شَعْرُها ، وَتَقَلَّصَتْ شَفَتاها ، وَزَمْجَرَتْ فيهِمْ في غَضَبٍ شَديدٍ ، فَصاحَ أحَدُهُمْ : « كيشي ! » كانَتْ صَيْحَةَ دَهْشَةٍ . وَشَعَرَ الجَرْوُ بِتَغَيُّرٍ يَطْرَأُ عَلى أمِّهِ . وَصاحَ الرَّجُلُ مَرَّةً أخْرى : « كيشي ! » فَخَفَضَتْ رَأسَها حَتّى لامَسَ جِسْمُها الأرْضَ ، وَرَفَعَتْ عَيْنَيْها إلَيْهِ . وَمَضى الرَّجُلُ نَحْوَها ، وَ وَضَعَ يَدَهُ عَلى رَأسِها ، عَلى حينِ كانَ الرِّجالُ يَتَحَدَّثونَ بِأصْواتٍ مُهْتاجَةٍ .



قالَ أحَدُ الهُنودِ : « هَذا لَيْسَ بِالشَّيْءِ الغريبِ ؛ فَقَدْ كانَ أبوها ذِئْباً ، وَكانَتْ أُمُّها كَلْبَةً . وَذاتَ لَيْلَةٍ رَبَطَ أخي أمَّها بشَجَرَةٍ في الغابَةِ . وَجاءَ وَقْتٌ لَمْ يَكُنْ فيهِ ثَمَّةَ غِذاءُ لِلْكِلابِ ؛ فَهَرَبَتْ كيشي وَعاشَتْ مَعَ الذِّئابِ . »

وَقالَ آخَرُ يُدْعى « القُنْدُسَ الأشْهَبَ » ، وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ على الجَرْوِ : « نَعَمْ ، وَهَذا نِتاجُها . إنَّ كيشي هِيَ أمُّهُ ، وَأباهُ ذِئْبٌ مِنَ الذِّئابِ . وَلأنَّ أنْيابَهُ وَأسْنانَهُ بَيْضاءُ فَسَوْفَ نَدْعوهُ النّابَ الأبْيَضَ ، وَسَيَكونُ لي لأنَّ كيشي كانَتْ لأخي ، وَقَدْ ماتَ . »

وَ وَضَعَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ حَبْلاً حَوْلَ رَقَبَةِ كيشي ، وَرَبَطَها إلى شَجْرَةٍ صَغيرَةٍ ، وَتَبِعَها النّابُ الأبْيَضُ وَرَقَدَ إلى جِوارِها . وَرَبَّتَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ على ظَهْرِهِ فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَتَدَحْرَجَ إلى جانِبِهِ ، فَضَغَطَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ بِأصْبَعِهِ خَلْفَ أُذُنَيْهِ ، فَكانَ سُرورُهُ بِذَلِكَ أعْظَمَ .

وَبَعْدَ حينٍ سَمِعَ النّابُ الأبْيَضُ ضَجَّةً كانَ مَصْدَرَها الرِّجالُ وَالكِلابُ؛ فَقَدْ كانَتْ بَقِيَّةُ الهُنودِ آفِلَةً . وَهاجَمَتِ الكِلابُ كيشي وَصَغيرَها ، فَتَصَدّى لَها القُنْدُسُ الأشْهَبُ وَأبْعَدَها بِالعَصا وَالحِجارَةِ .

وَأخَذَ النّابُ الأبْيَضُ يَلْعَقُ جِراحَهُ . إنَّهُ لَمْ يَحْلُمْ قَطُّ بِوُجودِ حَيَواناتٍ أُخْرى مِثْلِ الذِّئبِ الأعْوَرِ وَأمِّهِ ، وَلَكِنَّهُ رَأى هُنا حَيَواناتٍ كَثيرَةً مِنَ النَّوْعِ نَفْسِهِ تُهاجِمُهُ وَتُحاوِلُ قَتْلَهُ .

وَها هِيَ ذي أمُّهُ كيشي قَدْ رُبِطَتْ إلى طَرَفِ عَصاً ، وَلَمْ يَكُنْ بِاسْتِطاعَةِ النّابِ الأبْيَضِ أنْ يَبْتَعِدَ ، بَلْ ظَلَّ قَريباً مِنْها .

وَذاتَ يَوْمٍ أمْسَكَ رَجُلٌ ضَئيلٌ بِالطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ العَصا ، وَأخَذَ يَسْحَبُ كيشي أسيرَةً خَلْفَهُ . وَمَضَيا إلى الجَدْوَلِ ، وَكانَتْ هُناكَ قَوارِبُ وَمَناضِدُ مِنَ العِصِيِّ لِتَجْفيفِ السَّمَكِ . وَرَأى الرِّجالَ يَرْفَعونَ العِصِيَّ الطَّويلَةَ ، وَيُغَطّونَها بِجُلودِ الحَيَواناتِ لِيُقيموا خِياماً . وَهَكَذا أقامَ الهُنودُ حَوْلَهُ خِياماً كانَ يَخْشاها ، وَلَكِنَّهُ رَأى النِّساءَ وَالأطْفالَ يَدْخُلونَها وَيَخْرُجونَ مِنْها دونَ أنْ يَنالَهُمْ أذًى . وَذَهَبَ إلى واحِدَةٍ مِنْها وَجَذَبَها ، فَأطْلَقَتِ امْرَأةٌ صَرْخَةً حادَّةً جَعَلَتْهُ يَفِرُّ عائِداً إلى كيشي .

وَمَضى النّابُ الأبْيَضُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعيداً عَنْ أمِّهِ حَيْثُ كانَتْ مَرْبوطَةً إلى إحْدى العِصِيِّ . وَأقْبَلَ نَحْوَهُ جَرْوٌ يُدْعى « لِبْلِب » كانَ يَكْبُرُهُ في العُمْرِ وَالحَجْمِ ، وَأخَذَ كُلٌّ مِنْهُما يَدورُ حَوْلَ الآخَرِ ، وَفَجْأةً انْقَضَّ لِبْلِب عَلَيْهِ وَعَضَّهُ ، فَانْدَفَعَ النّابُ الأبْيَضُ نَحْوَهُ في غَضَبٍ وَحْشِيٍّ . وَلَكِنَّ لِبْلِب الَّذي خاضَ عِدَّةَ مَعارِكَ مَعَ صِغارِ

الكِلابِ عَضَّ النّابَ الأبْيَضَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتّى أجْبَرَهُ عَلى الفِرارِ ، وَهُوَ يَصْرُخُ مُسْتَجيراً بِأمِّهِ . وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المَعْرَكَةَ الوَحيدَةَ بَلْ كانَتِ المَعْرَكَةَ الأولى مِنْ مَعارِكَ كَثيرَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُما .

لَعِقَتِ الأمُّ جِراحَ صَغيرِها ، وَحاوَلَتْ أنْ تُبْقِيَهُ إلى جِوارِها ، وَلَكِنَّهُ ما لَبِثَ أنْ مَضى بَعيداً لِكَيْ يَرى مَزيداً مِنْ هَذِهِ الأشْياءِ الغَريبَةِ . وَكانَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ يَجْلِسُ مُنْهَمِكاً في عَمَلِ شَيْءٍ ما ، مُسْتَعيناً بِالعِصِيِّ وَأوْراقِ الأشْجارِ الجافَّةِ ، عَلى حينِ كانَتْ تَحْمِلُ إلَيْهِ النِّساءُ وَالأطْفالُ مَزيداً مِنَ العِصِيِّ وَالأغْصانِ . وَرَأى النّابُ الأبْيَضُ شَيْئاً يُشْبِهُ سَحابَةً تَنْبَعِثُ مِنَ العِصِيِّ ، وَشَيْئاً أحْمَرَ لامِعاً يُشْبِهُ الشَّمْسَ .

كانَ النّابُ الأبْيَضُ لا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ النّارِ ؛ فَاقْتَرَبَ أكْثَرَ حَتّى لامَسَ أنْفُهُ النّارَ وَمَسَّ اللَّهَبُ لِسانَهُ ؛ فَارْتَدَّ إلى الوَراءِ يَعْوي : « كي ! بي !» فَضَحِكَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ وَجَلَسَ النّابُ الأبْيَضُ يَصْرُخُ : « كي ! بي !»

كانَتِ التَّجْرِبَةُ أشَدَّ إيلاماً مِنْ أيِّ شَيْءٍ آخَرَ عَرَفَهُ في حَياتِهِ . وَكُلَّما ازْدادَ صُراخُهُ ازْدادَتْ ضَحِكاتُ الحَيَواناتِ الآدَمِيَّةِ ؛ فَهَرَبَ لا مِنْ لَسْعَةِ النّيرانِ بَلْ مِنَ الضَّحِكاتِ السّاخِرَةِ .

وَعِنْدَما أَقْبَلَ المَساءُ كانَ النّابُ الأَبْيَضُ يَجْلِسُ حَزيناً إلى جِوارِ أُمِّهِ يَحِنُّ إلى هُدوءِ الجَدْوَلِ وَالكَهْفِ . كانَ هُناكَ كَثيرٌ مِنْ هَذِهِ الحَيَواناتِ الآدَمِيَّةِ تَصْخَبُ وَتَعْمَلُ أَشْياءَ رائِعَةً ، وَتَجْعَلُ أَشْياءَ تَتَحَرَّكُ ، مِثْلَ أَغْصانِ الأَشْجارِ الضَّخْمَةِ وَالصُّخورِ الَّتي لا تَتَحَرَّكُ عادَةً . كَما أَنَّهُمْ يُخْرِجونَ مِنَ الأَشْجارِ الجافَّةِ حَرارَةً ساطِعَةً . لَقَدْ كانوا صانِعي نيرانٍ .

وَمَرَّتِ الأَيّامُ . وَكانَ لِبْلِب هُوَ سَبَبَ الشَّقاءِ الأَكْبَرِ لِلنّابِ الأَبْيَضِ ، وَكانَ مَصْدَرَ الرُّعْبِ في حَياتِهِ . لَقَدْ جَعَلَ لِبْلِب مِنَ النّابِ الأَبْيَض عَدُوَّهَ الخاصَّ . وَكُلَّما ابْتَعَدَ النّابُ الأَبْيَضُ عَنْ أُمِّهِ ظَهَرَ لِبْلِب وَظَلَّ يَتْبَعُهُ وَهُوَ مُتَأَهِّبٌ دَوْماً لِلْقَفْزِ عَلَيْهِ ، وَإِجْبارِهِ عَلى القِتالِ . وَلأَنَّ لِبْلِب كانَ أَكْبَر حَجْماً مِنَ النّابِ الأَبْيَض فَإِنَّهُ كانَ يَفوزُ عَلَيْهِ . وَلَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إلى خَوْفِ النّابِ الأَبْيَضِ ، بَلْ زادَ مِنْ شَراسَتِهِ وعِدائِهِ لِلْجَميعِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَلْعَبُ مَعَ الجِراءِ بَل انْطَوى عَلى نَفْسِهِ ، وَكانَ يَتَجَوَّلُ وَحيداً ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ الحُصولَ عَلى غِذائِهِ وَلِذَلِكَ صارَ لِصّاً . وَكانَ يَخْتَبِئُ وَيَظَلُّ بَعيداً عَنْ لِبْلِب .

وَذاتَ مَرَّةٍ خَدَعَ لِبْلِب ، فَهُوَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَجْرِيَ أَسْرَعَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَسْتَدْرِجُهُ وَراءَهُ ، وَجَعَلَهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ حَتّى الْتَقى كيشي فَعَضَّتْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، كَما عَضَّهُ النّابُ الأَبْيَضُ في رِجْلِهِ الخَلْفِيَّةِ فَلَمْ

يَعُدْ يَقْوى عَلى القِتالِ ، وَفَرَّ هارِباً ، وَفي أَثَرِهِ النّابُ الأَبْيَضُ يَتْبَعُهُ عَنْ كَثَبٍ .

الفصل السادس

النّابُ الأبْيَضُ بَعيداً عَنْ أمِّه

ذاتَ يَوْمٍ أطْلَقَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ سَراحَ كيشي ، فانْطَلَقَتْ بِصُحْبَةِ النّابِ الأبْيَض إلى أطْرافِ الغابَةِ بِجوارِ المُخَيَّمِ . وكانَ النّابُ الأبْيَضُ يَرْغَبُ في الرَّحيلِ ؛ إذ كانَ الجَدْوَلُ والغابَةُ الهادئَةُ تُناديهِ ، ولَكِنَّ كيشي لَمْ تَتَحَرَّكْ . كانَ شَيْءٌ ما بِالخارِجِ يُناديه ، يُنادي الذِّئبَ المُفتَرِسَ في داخِلِه . وَسَمِعَتْ أمُّهُ النِّداءَ أيْضاً ، ولَكِنَّها سَمِعَتْ كَذَلِكَ نِداءَ النّارِ وَالإنْسانِ ، فَاسْتَدارَتْ وَعادَتْ بِبُطْءٍ إلى المُخَيَّمِ .

كانَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ مَديناً بِبَعْضِ المالِ لِهِنْدِيٍّ آخَرَ يُدْعى « النُّسورَ الثَّلاثَةَ » ، وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يُسَدِّدَ دَيْنَهُ . وَلَمّا كانَ النُّسورُ الثَّلاثَةُ مُيَمِّماً شَطْرَ البُحَيْرَةِ ، فَقَدْ أعْطاهُ القُنْدُسُ الأشْهَبُ قِطْعَةً مِنْ نَسيجٍ أحْمَرَ وَعِشْرينَ طَلْقَةَ بُنْدُقِيَّةٍ وَجِلْدَ دُبٍّ ، كَما تَنازَلَ لَهُ عَنْ كيشي .

وَعِنْدَما رَأى النّابُ الأبْيَضُ أمَّهُ تُساقُ إلى قارِبِ النُّسورِ الثَّلاثَةِ ، حاوَلَ أنْ يَتْبَعَها ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الهِنْدِيَّ دَفَعَهُ إلى الشَّطِّ . وَتَحَرَّكَ القارِبُ مُبْتَعِداً ، فَقَفَزَ النّابُ الأبْيَضُ في الماءِ وَأخَذَ يَسْبَحُ خَلْفَهُ . وَنادى عَلَيْهِ القُنْدُسُ الأشْهَبُ وَلَكِنَّهُ أصَمَّ أذُنَيْهِ ، فَاسْتَشاطَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ غَضَباً ، وَأخَذَ قارِباً آخَرَ وَتَبِعَهُ حَتّى دَنا مِنْهُ فَأمْسَكَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ وانْتَشَلَهُ مِنَ الماءِ ، وَأخَذَ يَضْرِبُهُ بِشِدَّةٍ ، ثُمَّ ألْقى بِهِ في قاعِ القارِبِ ، فَعَضَّهُ النّابُ الأبْيَضُ في قَدَمِهِ ، فَضَرَبَهُ مَرَّةً أخْرى ضَرْباً مُبَرِّحاً . عِنْدَئِذٍ عَرَفَ النّابُ الأبْيَضُ أنَّ الإنْسانَ يَجِبُ أنْ يُطاعَ ، كَما تَعَلَّمَ أنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ ألا يَعَضَّ أبَداً الإنْسانَ الَّذي هُوَ سَيِّدُهُ .

وَكانَ لِبْلِب يُشاهِدُ القارِبَ عِنْدَما وَصَلَ إلي اليابِسَةِ ، فَانْدَفَعَ نَحْوَ النّابِ الأبْيَضِ ، الَّذي كانَ مِنَ الضَّعْفِ وَالخَوَرِ بِحَيْثُ لا يَسْتَطيعُ الدِّفاعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَكِنَّ قَدَمَ القُنْدُسِ الأشْهَبِ انْطَلَقَتْ وَرَفَعَتْ لِبْلِب في الهَواءِ بِقُوَّةٍ شَديدةٍ أسْقَطَتْهُ على بُعْدِ ثَلاثَةِ أمْتارٍ؛ فَتَعَلَّمَ النّابُ الأبْيَضُ أنَّ سَيِّدَهُ سَيَتَوَلّى الدِّفاعَ عَنْهُ ، إذاً فَعَلَيْهِ أنْ يُطيعَ القُنْدُسَ الأشْهَبَ ، وَفي المُقابِلِ عَلَى القُنْدُسِ الأشْهَبِ حِمايَتُهُ . وَرُوَيْداً رُوَيْداً بَدَأ يُحِبُّ حَياةَ المُخَيَّمِ ، وَيَنْسى أمَّهُ وَحَياتَهُ الحُرَّةَ الطَّليقَةَ الَّتي كانَ يَحْياها .

* * *

وَلكِنَّ لِبْلِب واصَلَ هُجُومَهُ عَلَيْهِ ، حَتَى إنَّ النّابَ الأبْيَضَ صارَ أكْثَرَ شَراسَةً ، وَصارَ عَدُوًّا لِلْجَميعِ – لِلْكِلابِ وَالنّاسِ . وَإذا اخْتَفَتْ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ ، كانوا عَلى ثِقَةٍ بِأنَّ النّابَ الأبْيَضَ هُوَ السّارِقُ ، وَإذا نَشِبَ شِجارٌ في مَكانٍ ، كانَ النّابُ الأبْيَضُ هُوَ المُتَسَبِّبَ . كانَ مُثيراً لِلشَّغَبِ وَكانَ لِصًّا .

وَانْضَمَّتْ كُلُّ الجِراءِ إلى لِبْلِب ؛ فَقَدْ كانَتْ تَشْعُرُ بِأنَّ في النّابِ الأبْيَضِ شَيْئًا ما مُخْتَلِفاً – شَيْئًا مُفْتَرِساً يُشْبِهُ الذِّئْبَ ؛ وَلِهَذا تَكاتَفَتْ جَميعاً لِمُهاجَمَتِهِ .

وَتَعَلَّمَ النّابُ الأبْيَضُ كَيْفَ يُعْنى بِنَفْسِهِ في صِراعِهِ مَعَ مَجْموعَةِ الكِلابِ ، وَأنَّ عَلَيْهِ أنْ يَحْتَفِظَ بِأرْجُلِهِ ثابِتَةً عَلى الأرْضِ . وَصارَ كَالقِطِّ يَقَعُ دائِماً عَلى أرْجُلِهِ . وَكانَتِ الكِلابُ عِنْدَما تَتَقاتَلُ تُزَمْجِرُ ، ثُمَّ تَتَقَدَّمُ بِبُطْءٍ إلى الأمامِ ، وَتُقَلِّصُ شِفاهَها ، وَتُكَشِّرُ عَنْ أنْيابِها ، وَيَنْتَصِبُ شَعْرُها .

تَعَلَّمَ النّابُ الأبْيَضُ أنْ يَتَجاهَلَ كُلَّ ذَلِكَ . تَعَلَّمَ قيمَةَ المُباغَتَةِ ؛ فَكانَ يَهاجِمُ فَجْأةً وَفي سُكونٍ ؛ فَيوقِعُ الخَصْمَ عَلى الأرْضِ ، وَيُحاوِلُ أنْ يَغْرِسَ أسْنانَهُ في الرَّقَبَةِ اللَّدْنَةِ .

وَذاتَ يَوْمٍ لَقِيَ أحَدَ أعْدائِهِ عِنْدَ طَرَفِ الغابَةِ فَطَرَحَهُ أرْضاً ،

وَأسالَ دَمَ رَقَبَتِهِ حَتَى ماتَ ؛ فاجْتاحَ المُخَيَّمَ غَضَبٌ شَديدٌ ، وَارْتَفَعَتْ أصْواتٌ غاضِبَةٌ خارِجَ خَيْمَةِ القُنْدُسِ الأشْهَبِ . وَلكِنَّ القُنْدُسَ لَمْ يَفْتَحْ بابَ الخَيْمَةِ .

أصْبَحَ النّابُ الأبْيَضُ مَكْروهاً مِنَ النّاسِ وَالكِلابِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ لَحْظَةَ أمانٍ واحِدَةً ، فَقَدْ كانَتْ أنْيابُ الكِلابِ جَميعاً مُشْرَعَةً نَحْوَهُ ، وَكَذَلِكَ كانَتْ قَبْضَةُ كُلِّ إنْسانٍ .

لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ بَلْ كانَ قَوِيَّ الجِسْمِ ، سَريعَ التَّفْكيرِ ، سَريعَ الحَرَكَةِ ، وَكانَ مُتَفَوِّقًا عَلى الكِلابِ الأخْرى في السُّرْعَةِ وَالمَهارَةِ ، كَما كانَ أكْثَرَها شَراسَةً وَقُوَّةً .

الفصل السابع

النّابُ الأبْيَضُ وَحيداً

كادَ الصَّيْفُ يَنْتَهي ، وَظَلَّ الضَّجيجُ في المُخَيَّمِ عِدَّةَ أيّامٍ ؛ فَقَدْ كانَ الهُنودُ يَقوضونَ الخِيامَ اسْتِعْداداً لِلرَّحيلِ . وَكانَ النّابُ الأبْيَضُ يُشاهِدُ وَيَفْهَمُ ، فَقَرَّرَ التَّخَلُّفَ عَنْهُمْ . وَخَرَجَ إلى الغابَةِ ، وَاخْتَبَأَ خَلْفَ شُجَيْرَةٍ . وَكانَ يَسْمَعُ صَوْتَ القُنْدُسِ الأشْهَبِ يُناديهِ ، وَانْضَمَّ إلَيْهِ صَوْتُ زَوْجَتِهِ وَابْنِهِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الأصْواتُ .

وَحَلَّ الظَّلامُ فَألْفى نَفْسَهُ وَحيداً ، وَبَدَأَ الخَوْفُ يَدِبُّ في أوْصالِهِ وَأحَسَّ بِالبَرْدِ لافْتِقادِهِ رُكْنَ الخَيْمَةِ الدّافِئَ ، كَما افْتَقَدَ النّارَ . وَكانَ جائِعاً وَبِحاجَةٍ إلى الرِّجالِ وَصُحْبَتِهِمْ ؛ فَاتَّجَهَ نَحْوَ المَكانِ الَّذي أُقيمَ فيهِ المُخَيَّمُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً ، فَذَهَبَ إلى حَيْثُ نُصِبَتْ خَيْمَةُ القُنْدُسِ الأشْهَبِ ، وَهُناكَ جَلَسَ شامِخاً بِأنْفِهِ نَحْوَ القَمَرِ ، وَأطْلَقَ صَرْخَةً طَويلَةً عَميقَةً تُنْبِئُ عَنْ وِحْدَتِهِ وَحُزْنِهِ لِفَقْدِ

أمِّهِ ، وَخَوْفِهِ مِمّا سَوْفَ يُواجِهُهُ وَيُقاسيهِ مِنْ أخْطارٍ . كانَتِ المَرَّةَ الأولى الَّتي يُطْلِقُ فيها الذِّئْبُ بِداخِلِهِ صَرْخَتَهُ نَحْوَ القَمَرِ كَما تَفْعَلُ الذِّئابُ ، وَكَما كانَت تَفعَلُ أمُّهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ طَويلٍ .

وَعِنْدَما بَزَغَ النَّهارِ كانَ يَشْعُرُ بِالوَحْدَةِ أكْثَرَ مِنْ ذي قَبْلُ . كانَ يَعْلَمُ ما يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يَفْعَلَهُ ، فَمَضى نَحْوَ النَّهْرِ ، وَأخَذَ يَعْدو عَلى شاطِئِهِ طَوالَ النَّهارِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ جِسْمُهُ الفولاذِيُّ مُطْلَقاً بِالتَّعَبِ . وَسَبَحَ عَبْرَ الجَداوِلِ الَّتي تَصُبُّ في النَّهْرِ ، وَانْطَلَقَ يَجْري عَلى الجَليدِ الَّذي أخَذَ يَتَكَوَّنُ عَلى حافَةِ النَّهْرِ . وَأقْبَلَ الهُنودُ في قَوارِبِهِمْ ، وَكانَ يُحاوِلُ أنْ يَعْثُرَ عَلى المَكانِ الَّذي يَتْرُكونَ النَّهْرَ عِنْدَهُ وَيَنْزِلونَ إلَيْهِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ في ضِفَّةِ النَّهْرِ الأخْرى . لَمْ يُفَكِّرْ في احْتِمالِ نُزولِهِمْ عَلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ النَّهْرِ .

وَظَلَّ يَجْري طَوالَ اللَّيْلِ . وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ اليَوْمِ التّالي كانَ قَدْ أمْضى ثَلاثينَ ساعَةً ، وَهُوَ يَجْري ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَناوَلَ طَعاماً مُنْذُ أرْبَعينَ ساعَةً . وَبَدَأَ جِسْمُهُ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ غَيْرَ أنَّهُ ظَلَّ يَجْري بِبُطْءٍ ، وَكانَتْ قَدَماهُ تَرْسُمانِ عَلاماتٍ مَشوبَةً بِالدِّماءِ عَلى الأرْضِ . ثُمَّ بَدَأَ الجَليدُ يَتَساقَطُ مِمّا جَعَلَ السَّيْرَ أكْثَرَ وُعورَةً .

كانَ هَدَفُ القُنْدُسِ الأشْهَبِ أنْ يُخَيِّمَ عِنْدَ ضِفَّةِ النَّهْرِ البَعيدَةِ ، وَلكِنْ قَبْلَ أنْ يَحُلَّ الظَّلامُ مُباشَرَةً هَبَطَ أيِّلٌ إلى النَّهْرِ لِيَشْرَبَ ؛



فأطْلَقَ القُنْدُسُ النّارَ علَيْهِ . ولِذلِكَ اضطُرَّ إلى إقامَةِ المُخَيَّمِ علَى هذا الجانبِ مِنَ النَّهْرِ . وكانَ مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَمُرَّ النّابُ الأبْيَضُ بِذلِكَ المكانِ ثُمَّ يَمْضي في طَريقِهِ إمّا لِيَموتَ أوْ لِيَعْثُرَ على الطَّريقِ المُؤدِّيَةِ إلى قَبيلَتِهِ المُفتَرِسَةِ ، ويَصيرَ واحِداً مِنْها - ذِئْباً حتّى نِهايَةِ حَياتِهِ .

وأقْبَلَ اللَّيْلُ ، وكانَ الجليدُ يَتَساقَطُ أسْرَعَ مِنْ ذي قَبْلُ ، على حين كانَ النّابُ الأبْيَضُ يَئِنُّ أنيناً خافِتاً ، وهُوَ يَشُقُّ طَريقَهُ بِصُعوبَةٍ . ثُمَّ وَجَدَ آثاراً على الجليدِ ، فارْتَدَّ عَنْ ضِفَّةِ النَّهْرِ ودخلَ وَسْطَ الأشْجارِ . عِنْدَئِذٍ وَصَلَتْ أصْواتُ المُخَيَّمِ إلى أذُنَيْهِ ، ورأى ضَوْءَ النّارِ الباهِرَ . وكانَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ جالِساً يأكُلُ .

توَقَّعَ النّابُ الأبْيَضُ أنْ يَلْقى جَزاءَهُ ضَرْباً ؛ فتوقَّفَ عَنِ السَّيْرِ ولكِنَّهُ واصَلَ إلى الأمامِ مَرَّةً أخْرى . ودَخَلَ بِبُطْءٍ دائِرَةَ ضَوْءِ النّارِ خائِفاً ، يَزْحَفُ بِجِسْمِهِ على الأرْضِ . ورآهُ القُنْدُسُ الأشْهَبُ يُقْبِلُ نَحْوَهُ بِبُطْءٍ شَديدٍ يَزْدادُ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ . وأخيراً رَقَدَ عِنْدَ قَدَمَيْ سَيِّدِهِ وهُوَ يَرْتَعِدُ فَرَقاً ، ويَنْتَظِرُ أنْ يَحُلَّ بِهِ عِقابُ سَيِّدِهِ . وعِنْدَما رأى يَدَهُ تَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ انْكَمَشَ بعيداً كَيْ يَتَفادى الضَّرْبَةَ المُرْتَقَبَةَ ، ولكِنَّ اليَدَ لَمْ تَمَسَّهُ بِسوءٍ . ورَفَعَ عَيْنَيْهِ لِيَرى القُنْدُسَ الأشْهَبَ يُقَدِّمُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ . فأخَذَ يَتَشَمَّمُها بِرِفْقٍ ثُمَّ التَهَمَها . وأمَرَ القُنْدُسُ

الأشْهَبُ لَهُ بِمَزيدٍ مِنَ اللَّحْمِ ، وَكانَ يَتَوَلّى حِمايَتَهُ مِنَ الكِلابِ الأخْرى أثْناءَ تَناوُلِهِ لَهُ .

وَرَقَدَ النّابُ الأبْيَضُ عِنْدَ قَدَمَيْ سَيِّدِهِ يَنْظُرُ إلى النّارِ الَّتي تُشيعُ الدِّفْءَ في جِسْمِهِ . وَراحَ في سُباتٍ عَميقٍ ، وَهُوَ يُدْرِكُ أنَّهُ في الغَدِ لَنْ يَكونَ هائِماً وَحيداً ، بَلْ سَيَكونُ في مُخَيَّمِ الحَيَواناتِ السّادَةِ الآلِهَةِ الَّتي أسْلَمَ لَها قِيادَهُ ، وَأصْبَحَ الآنَ يَعْتَمِدُ عَلَيْها .

الفصل الثامن

النّابُ الأبْيَضُ يُقْبِلُ على العَمَلِ

في وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ مِنْ شَهْرِ ديسَمْبِر (كانون الأوَّل) ، قامَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ بِرِحْلَةٍ أعْلى النَّهْرِ ، وَبِصُحْبَتِهِ زَوْجَتُهُ وَابْنُهُ « ميتْساه » . وَكانَتْ تَجُرُّ زَحّافَتَهُ الكَبيرَةَ كِلابٌ مُدَرَّبَةٌ . أمّا زَحّافَةُ ابْنِهِ ميتْساه الصَّغيرَةُ ، فَكانَتْ تَجُرُّها جِراءٌ سَبْعَةٌ . وَقَدْ حاوَلَتِ الجِراءُ مُهاجَمَةَ الجَرْوِ الَّذي في المُقَدِّمَةِ ، لِذَلِكَ كانَ عَلَيْها أنْ تَزيدَ مِنْ سُرْعَتِها في جَرِّ المَرْكَبَةِ ، وَكانَ على الكَلْبِ الَّذي هوجِمَ أنْ يَزيدَ مِنْ سُرْعَتِهِ في العَدْوِ لِكَيْ يَهْرُبَ مِنْها . وَهَكَذا كانَتِ الزَّحّافَةُ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ أكْثَرَ . وَلاحَظَ ميتْساه أنَّ لِبْلِب هُوَ أكْبَرُ عَدُوٍّ لِلنّابِ الأبْيَضِ ، فَجَعَلَهُ القائِدَ . وَقَدْ يَبْدو ذَلِكَ لِلْوَهْلَةِ الأولى تَكْريماً لَهُ ، وَلَكِنَّ الحَقيقَةَ غَيْرُ ذَلِكَ ، إذِ اكْتَشَفَ لِبْلِب أنَّ الجِراءَ الأخْرى تَكْرَهُهُ وَتُهاجِمُهُ ، فَعَدا بِأقْصى ما في وُسْعِهِ حَتّى إنَّ الجِراءَ الأخْرى لَمْ

تَعُدْ تَرى سِوى ذَيْلِهِ وقائِمَتَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ كَما لَوْ كانَ يَجْري مُبْتَعِداً .

وَما كادَتِ الزَّحّافَةُ تَتَحَرَّكُ حَتّى تَعَقَّبَتِ الجِراءُ لِبْلِب ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ طيلَةَ النَّهارِ ، فَإذا أرادَ لِبْلِب أنْ يَتَصَدّى لِمُتَعَقِّبيهِ ضَرَبَهُ مِيتْساه . وَكانَ النّابُ الأبْيَضُ يَسْتَمْتِعُ بِالعَمَلِ ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَيُطيعُ مِيتْساه . كانَ بِإمْكانِهِ أنْ يُصْبِحَ القائِدَ ، لَكِنَّهُ فَضَّلَ الوَحْدَةَ ؛ فَاكْتَسَبَ احْتِرامَ الجِراءِ الأُخْرى ، الَّتي تَرَكَتْهُ وَشَأْنَهُ .

وَ وَصَلوا إلى قَرْيَةٍ بِالقُرْبِ مِنَ البُحَيْرَةِ الكَبيرَةِ . وَهُنا تَعَلَّمَ النّابُ الأبْيَضُ أنْ يُعَدِّلَ قَليلاً في القانونِ الَّذي تَعَلَّمَهُ مِنَ القُنْدُسِ الأشْهَبِ ، الَّذي يَنُصُّ على ألا يَعَضَّ مُطْلَقاً أيَّ آدَمِيٍّ ؛ إذْ كانَ أحَدُ صِبْيَةِ القَرْيَةِ يُقَطِّعُ لَحْماً مُجَمَّداً مُسْتَعيناً بِبَلْطَةٍ، فَتَناثَرَتْ عَلى الأرْضِ قِطَعٌ صَغيرَةٌ مِنْها . وَعِنْدَما أخَذَ النّابُ الأبْيَضُ في الْتِهامِها تَرَكَ الصَّبِيُّ البَلْطَةَ ، وَأمْسَكَ بِعَصاً غَليظَةٍ ، وَطارَدَهُ وَحاصَرَهُ داخِلَ رُكْنٍ يَقَعُ بَيْنَ خَيْمَتَيْنِ وَرَبْوَةٍ عالِيَةٍ . عِنْدَئِذٍ اشْتَدَّ غَضَبُ النّابِ الأبْيَضِ ؛ لأنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً ، كَما أنَّ قانونَ المُخَيَّمِ يَنُصُّ عَلى أنَّ مُخَلَّفاتِ الطَّعامِ مِنْ حَقِّ أيِّ كَلْبٍ يَعْثُرُ عَلَيْها . وَرَغْمَ هَذا فَإنَّ الصَّبِيَّ يُريدُ أنْ يَضْرِبَهُ ؛ فَقَفَزَ عَلى الصَّبِيِّ ، وَألْقاهُ أرْضاً ، وَعَضَّ اليَدَ الَّتي كانَتْ تُمْسِكُ بِالعَصا .

أدْرَكَ النّابُ الأبْيَضُ أنَّهُ قَدْ خَرَقَ قانونَ الإنْسانِ ؛ فَقَدْ عَضَّ واحِداً مِنْهُمْ ، فَفَرَّ إلى القُنْدُسِ الأشْهَبِ ، وَرَقَدَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَأقْبَلَتْ

أُسْرَةُ الصَّبِيِّ تَطْلُبُ إنْزالَ العِقابِ بِالنّابِ الأبْيَضِ ، غَيْرَ أنَّ القُنْدُسَ الأشْهَبَ وَمِيتْساه دافَعا عَنْهُ ؛ فَعَرَفَ بِذَلِكَ أنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً . كَما عَرَفَ أنَّ الدُّنْيا تَضُمُّ سَيِّدَيْهِ وسادَةً آخَرينَ ، وَأنَّ سَيِّدَيْهِ قَدْ يَكونانِ ظالِمَيْنِ فَعَلَيْهِ أنْ يَتَحَمَّلَهُما ، وَلَكِنْ لَيْسَ فَرْضاً عَلَيْهِ أنْ يَتَحَمَّلَ عِنْدَما يَكونُ السّادَةُ الآخَرونَ هُمُ الظّالِمينَ ، فَفي هَذِهِ الحالَةِ يَجوزُ لَهُ أنْ يُدافِعَ عَنْ نَفْسِهِ .

في ذَلِكَ المَساءِ كانَ مِيتْساه يَجْمَعُ حَطَباً لِلنّارِ ، فَقابَلَ الصَّبِيَّ الَّذي عَضَّهُ النّابُ الأبْيَضُ ، وَكانَ مَعَهُ صِبْيَةٌ آخَرونَ ، فَهاجَمَ الصِّبْيَةُ مِيتْساه . وَلَمّا رَأى النّابُ الأبْيَضُ أنَّ سَيِّدَهُ قَدْ لَحِقَهُ أذًى ؛ انْدَفَعَ نَحْوَ الصِّبْيَةِ في غَضَبٍ عارِمٍ ، وَفي دَقائِقَ مَعْدوداتٍ كانَ الصِّبْيَةُ يُطْلِقونَ سيقانَهُمْ لِلرّيحِ ، كَما أنَّ قَطَراتِ الدَّمِ كانَتْ تَقْطُرُ مِنْ عَدَدٍ مِنْهُمْ عَلى الجَليدِ . وَلَمّا قَصَّ مِيتْساه هَذِهِ القِصَّةَ في المُخَيَّمِ ، أعْطى القُنْدُسُ الأشْهَبُ مَزيداً مِنَ اللَّحْمِ لِلنّابِ الأبْيَضِ . وَهَكَذا عَرَفَ أنَّهُ أحْسَنَ صُنْعاً .

وَبَعْدَ أنْ كانَ يَتَوَلّى حِمايَةَ سَيِّدِهِ الأكْبَرِ أصْبَحَ النّابُ الأبْيَضُ يَتَوَلّى حِمايَةَ ابْنِهِ أيْضاً ، وَيَتَوَلّى حِراسَةَ كُلِّ ما يَخُصُّهُ . وَبِمُرورِ الشُّهورِ صارَ الاتِّفاقُ بَيْنَ الكَلْبِ وَالإنْسانِ أكْثَرَ قُوَّةً وَرُسوخاً ، فَقَدْ تَنازَلَ الكَلْبُ عَنْ حُرِّيَّتِهِ لِسَيِّدِهِ ، وَفي المُقابِلِ كانَ يَحْصُلُ عَلى

الغذاءِ وَالدِّفْءِ ، وَالصُّحْبَةِ . فَالسَّيِّدُ يَحْمي الكَلْبَ ، وَالكَلْبُ يَحْرُسُ كُلَّ ما يَخُصُّ السَّيِّدَ ، وَيَحْمي جِسْمَهُ ، وَيَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ وَيُطيعُهُ .

لَمْ يَكُنِ النّابُ الأَبْيَضُ يَعْرِفُ ما هُوَ الحُبُّ ، وَلكِنَّ العَلاقَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القُنْدُسِ الأَشْهَبِ كانَتْ قائِمَةً عَلى الاحْتِرامِ ، وَقَدْ نَسِيَ أُمَّهُ كيشي كَما نَسِيَ حُبَّهُ لِلْحُرِّيَّةِ . كانَ يَعْرِفُ فَقَطْ واجِبَهُ نَحْوَ سَيِّدِهِ .

الفصل التاسع

النّابُ الأَبْيَضُ يَبْلُغُ عامَهُ الأَوَّلَ

حينَ أَتَمَّ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ رِحْلَتَهُ الطَّويلَةَ كانَ فَصْلُ الرَّبيعِ عَلى الأَبْوابِ . وَفي شَهْرِ إبريل (نيسان) كانَ النّابُ الأَبْيَضُ قَدْ بَلَغَ عامَهُ الأَوَّلَ ، وَكانَ يَجْذِبُ الزَّحّافَةَ إلى مَوْطِنِهِ بِالقَرْيَةِ . كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اكْتِمالِ نُمُوِّهِ شَأْوٌ بَعيدٌ ، وَلكِنَّهُ كانَ أَكْبَرَ مِنْ جِراءِ القَرْيَةِ الَّتي أَتَمَّتْ عامَها الأَوَّلَ حَجْماً بَعْدَ لِبْلِب . كانَ أَبوهُ الذِّئْبُ الأَعْوَرُ كَبيراً وَقَوِيّاً . وَكَذلِكَ كانَتْ أُمُّهُ كيشي . وَكانَ هُوَ مِثْلَهُما كَبيراً وَقَوِيّاً . كانَ في حَجْمِ الكِلابِ المُكْتَمِلَةِ النُّمُوِّ تَقْريباً ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَقيلَ الجِسْمِ مِثْلَها . كانَ رَمادِيَّ اللَّوْنِ ، وَكانَ يُشْبِهُ الذِّئْبَ تَماماً . وَكانَتْ أُمُّهُ بَيْنَ الذِّئْبَةِ وَالكَلْبَةِ . وَلَمْ يَكُنْ في مَظْهَرِهِ أَيَّةُ عَلامَةٍ تَشي بِأَنَّهُ كَلْبٌ ، وَلكِنْ في داخِلِهِ الكَثيرُ مِنْ خَصائِصِ الكَلْبِ .

راحَ يَتَجَوَّلُ في القَرْيَةِ مُتَذَكِّراً ، فَرَأى كِلاباً أُخْرى شَبَّتْ عَنْ

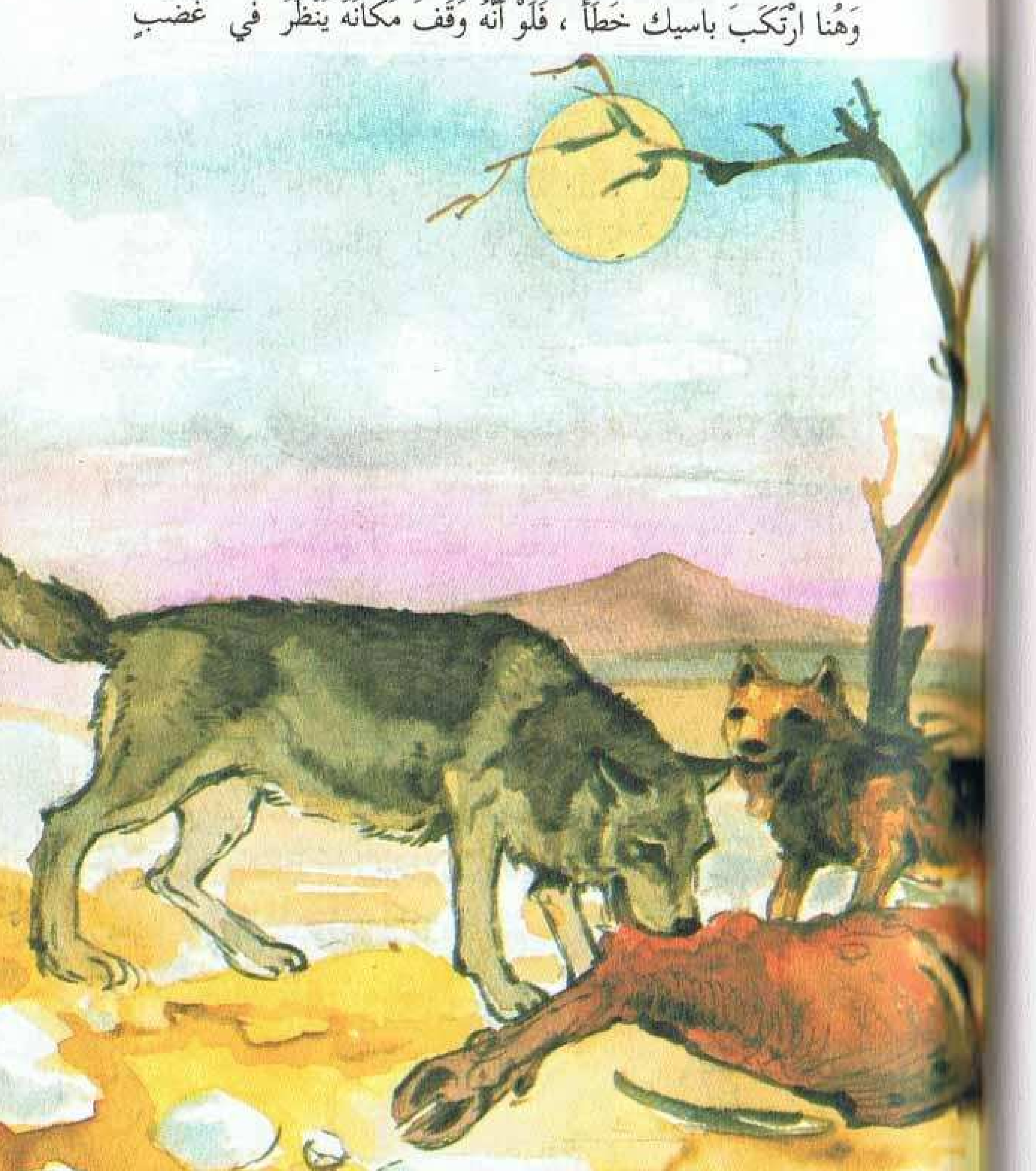
الطَّوْقِ مِثْلَهُ ، وَكِلاباً قَدِ اكْتَمَلَ نُمُوُّها ، وَلَمْ تَعُدْ كَبيرَةً وَمُخيفَةً ، كَما أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَخْشاها كَما كانَ في الماضي . كانَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَتَجَوَّلَ بَيْنَها دونَ أَنْ يَشْعُرَ بِالخَوْفِ ، وَكانَ مَسْروراً بِذَلِكَ .

وَأَلْفى باسيك أَكْبَرَ كَلْبٍ في المُخَيَّمِ قَدْ صارَ رَمادِيَّ اللَّوْنِ مَعَ تَقَدُّمِهِ في السِّنِّ ، وَكانَ فيما مَضى إذا كَشَّرَ عَنْ أَنْيابِهِ أَسْرَعَ النّابُ الأَبْيَضُ بِالفِرارِ . في ذَلِكَ الوَقْتِ عَرَفَ النّابُ الأَبْيَضُ كَيْفَ كانَ صَغيراً وَتافِهاً . وَمِنْ باسيك عَرَفَ الآنَ كَمْ تَغَيَّرَ هُوَ أَيْضاً ، لَقَدْ أَصْبَحَ باسيك أَكْثَرَ ضَعْفاً مَعَ تَقَدُّمِهِ في السِّنِّ ، عَلى حين أَنَّ النّابَ الأَبْيَضَ كانَ يَزْدادُ قُوَّةً مَعَ بُلوغِهِ سِنَّ الشَّبابِ .

تَمَّ تَوْزيعُ لَحْمِ إِيَّلٍ ذُبِحَ حَديثاً ، وَنالَ النّابُ الأَبْيَضُ قِطْعَةً مِنَ السّاقِ فيها لَحْمٌ كَثيرٌ ، فَأَخَذَ يَلْتَهِمُها خَلْفَ إِحْدى الشُّجَيْراتِ بَعيداً عَنْ أَنْظارِ الكِلابِ الأُخْرى ، فَانْدَفَعَ باسيك نَحْوَهُ ، فَعَضَّهُ النّابُ الأَبْيَضُ مَرَّتَيْنِ ، وَقَفَزَ بَعيداً عَنْهُ . وَأَصابَتْ باسيك الدَّهْشَةُ لِهذا الرَّدِّ السَّريعِ الجَريءِ ، وَ وَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ في بَلاهَةٍ وَقِطْعَةُ اللَّحْمِ الحَمْراءُ مُلْقاةٌ بَيْنَهُما عَلى الأَرْضِ . لَوْ حَدَثَ ذَلِكَ فيما مَضى ، لَقَفَزَ باسيك عَلى النّابِ الأَبْيَضِ في غَضَبٍ وَحْشِيٍّ ، لَكِنَّهُ الآنَ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَفْعَلَ . نَظَرَ في غَضَبٍ إِلى النّابِ الأَبْيَضِ عَبْرَ ساقِ الأَيِّلِ ، بَيْنَما أَحَسَّ الأَخيرُ بِبَعْضِ خَوْفِهِ القَديمِ ، فَحاوَلَ

التَّفْكيرَ في الهَرَبِ دونَ أَنْ يَشْعُرَ بِكَثيرٍ مِنَ الخَجَلِ .

وَهُنا ارْتَكَبَ باسيك خَطَأً ، فَلَوْ أَنَّهُ وَقَفَ مَكانَهُ يَنْظُرُ في غَضَبٍ



فَقَطْ ، لَفَرَّ النّابُ الأَبْيَضُ تارِكًا لَهُ قِطْعَةَ اللَّحْمِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرْ ، فَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ كَسَبَ المَعْرَكَةَ ، فَخَطا إِلى الأَمامِ نَحْوَ اللَّحْمِ ، وَمالَ بِرَأْسِهِ لِيَشُمَّهُ . أَمّا النّابُ الأَبْيَضُ فَقَدْ كانَ الغَضَبُ يَكْسوهُ .

وَلَوِ اكْتَفى باسيك بِهَذِهِ الحَرَكَةِ لَفَرَّ النّابُ الأَبْيَضُ مِنْ أَمامِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ كانَ جائِعًا ، وَكانَتْ رائِحَةُ اللَّحْمِ الطّازَجِ تَدْعوهُ فَقَضَمَ قِطْعَةً مِنْها . وَلَمْ يَتَحَمَّلِ النّابُ الأَبْيَضُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْقى ساكِنًا بَيْنَما يَتَعَدّى كَلْبٌ آخَرُ عَلى ما يَخُصُّهُ مِنَ اللَّحْمِ ؛ فَانْقَضَّ عَلَيْهِ وَنَهَشَ أُذُنَهُ ، ثُمَّ طَرَحَهُ أَرْضًا ، وَعَضَّهُ في رَقَبَتِهِ ، كَما غَرَسَ أَسْنانَهُ مَرَّتَيْنِ في كَتِفِهِ . وَحاوَلَ باسيك أَنْ يَنالَ مِنَ النّابِ الأَبْيَضِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ لِفَرْطِ ضَعْفِهِ وَإِعْيائِهِ ، وَقَدْ أَصابَ أَنْفَهُ وَهُوَ يَتَراجَعُ عَنِ اللَّحْمِ .

وَ وَقَفَ النّابُ الأَبْيَضُ فَوْقَ اللَّحْمِ عَلى حينَ وَقَفَ باسيك بَعيدًا ، وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلى قِتالِ هَذا النّابِ الأَبْيَضِ الفَتِيِّ الَّذي يَتَحَرَّكُ كَالسَّهْمِ ، فَلَقَدْ أَدْرَكَ أَنْ تَقَدُّمَهُ في السِّنِّ قَدْ أَصابَهُ بِالوَهَنِ .

وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَظاهَرَ بِالهُدوءِ مُدَّعِيًا أَنَّ الكَلْبَ الفَتِيَّ وَاللَّحْمَ لا يَسْتَحِقّانِ اهْتِمامَهُ ، فَأَدارَ ظَهْرَهُ ، وَابْتَعَدَ في بُطْءٍ . وَعِنْدَما صارَ بَعيدًا عَنِ الأَنْظارِ تَوَقَّفَ لِيَلْعَقَ جِراحَهُ .

كانَ النّابُ الأَبْيَضُ مَزْهُوًّا بِانْتِصارِهِ ، وَكانَ يَشْعُرُ بِثِقَةٍ أَكْبَرَ

بِنَفْسِهِ ، فَكانَ يَمْشي وَسْطَ الكِلابِ الكِبارِ دونَ خَوْفٍ . وَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ عَنْ طَريقِهِ لِلْبَحْثِ عَنِ المَتاعِبِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَذْهَبَ حَيْثُ يَشاءُ ، فَلَنْ يَسْمَحَ لِأَحَدٍ أَنْ يُعامِلَهُ كَجَرْوٍ صَغيرٍ . أَمّا صِغارُ الكِلابِ الأُخْرى الَّتي عَمِلَتْ مَعَهُ في جَرِّ الزَّحّافَةِ ، فَكانَتْ لا تَزالُ تُعامَلُ كَجِراءٍ صَغيرَةٍ ، فَكانَتْ تُفْسِحُ الطَّريقَ لِكِبارِ الكِلابِ ، وَتَتَخَلّى لَها عَنْ نَصيبِها مِنَ اللَّحْمِ . وَكانَ النّابُ الأَبْيَضُ يُعامَلُ مُعامَلَةَ النِّدِّ مِنْ كِبارِ الكِلابِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَتَجَوَّلُ وَحْدَهُ دونَ صَديقٍ أَوْ رَفيقٍ .

وَلَم يَكُنْ يَلْتَفِتُ يَمْنَةً أَوْ يَسْرَةً . وَظَلَّ وَحْدَهُ مُنْعَزِلاً ، لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ . وَقَدْ تَقَبَّلَتْهُ الكِلابُ عَلى عِلّاتِهِ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَفْهَمْهُ . أَنَّها لَمْ تَلْبَثْ أَنْ عَرَفَتْ أَنَّ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ تَتْرُكَهُ وَشَأْنَهُ ، حَتّى يَتْرُكَها هُوَ أَيْضًا وَشَأْنَها .

وَفي الصَّيْفِ رافَقَ النّابُ الأَبْيَضُ بَعْضَ الرِّجالِ لِصَيْدِ الأَيائِلِ ، فَوَصَلَ إِلى إِحْدى القُرى ، وَذَهَبَ لِيَنْظُرَ إِلى إِحْدى الخِيامِ الجَديدَةِ الَّتي نُصِبَتْ عِنْدَ طَرَفِ القَرْيَةِ . وَهُناكَ لَقِيَ أُمَّهُ كيشي ، فَتَوَقَّفَ وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْها فَتَذَكَّرَها بَعْدَ لَأْيٍ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَتَذَكَّرْهُ بَلْ زَمَّتْ شَفَتَيْها وَزَمْجَرَتْ . وَعِنْدَئِذٍ عادَتْ إِلَيْهِ ذِكْرَياتُ الطُّفولَةِ الَّتي كانَ فيها جَرْوًا صَغيرًا ، وَكانَتْ هِيَ مِحْوَرَ دُنْياهُ ، فَقَفَزَ نَحْوَها فَقابَلَتْهُ

بِعَضَّةٍ أسالَتِ الدِّماءَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَفْهَمِ النّابُ الأَبْيَضُ الأَمْرَ ، وَفَرَّ هارِبًا . وَلَمْ يَكُنِ الخَطَأُ مِنْ جانِبِ أُمِّهِ ، فَالأُمُّ الذِّئْبَةُ لا تَذْكُرُ صِغارَها بَعْدَ انْقِضاءِ عامٍ عَلى وِلادَتِهِمْ ، لِذَلِكَ لَمْ تَذْكُرِ النّابَ الأَبْيَضَ ؛ فَقَدْ كانَ مُجَرَّدَ حَيَوانٍ غَريبٍ بِالنِّسْبَةِ لَها . وَكانَتِ الأُمُّ مَشْغولَةً بِمَجْموعَةٍ جَديدَةٍ مِنَ الجِراءِ ، وَكانَ عَلَيْها أَنْ تَحْميها .
وَأَقْبَلَ أَحَدُ هَذِهِ الجِراءِ عَلى النّابِ الأَبْيَضِ ، فَأَخَذَ يَتَشَمَّمُهُ ، فَانْدَفَعَتْ كيشي إِلَيْهِ وَعَضَّتْهُ مَرَّةً ثانِيَةً فَارْتَدَّ بَعيدًا . لَقَدْ تَلاشَتِ الذِّكْرَياتُ القَديمَةُ وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلى كيشي ، وَهِيَ تَلْعَقُ الجَرْوَ ، ثُمَّ تَتَوَقَّفُ لِتَزْمَجِرَ في وَجْهِهِ ، وَهُنا لَمْ تَعُدْ تَعْني شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .

* * *

كان لا يَزالُ واقِفًا هُناكَ عِنْدَما هاجَمَتْهُ كيشي لِلْمَرَّةِ الثّالِثَةِ . وَقَدْ رَضِيَ النّابُ الأَبْيَضُ أَنْ تَطْرُدَهُ أُمُّهُ ، فَقانونُ الذِّئابِ يُحَرِّمُ التَّعَرُّضَ لِلإِناثِ .

وَمَرَّتِ الشُّهورُ ، وَأَصْبَحَ النّابُ الأَبْيَضُ أَكْثَرَ قُوَّةً وَأَكْبَرَ جِسْمًا ، كَما تَغَيَّرَ شَكْلُهُ . فَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ المُخَيَّمَ مُطْلَقًا وَظَلَّ مَعَ الذِّئابِ في الغابَةِ لَصارَ الآنَ ذِئْبًا حَقيقِيًّا . وَلَكِنَّ حَياتَهُ وَسْطَ الرِّجالِ جَعَلَتْ مِنْهُ كَلْبًا - كَلْبًا يُشْبِهُ الذِّئْبَ . كانَ النّابُ الأَبْيَضُ كَلْبًا لا ذِئْبًا ، وَلَكِنَّهُ كانَ مُخْتَلِفًا عَنْ سائِرِ الكِلابِ ؛ كانَ يَعيشُ مُنْعَزِلًا ، وَلَمْ

يَكُنْ لَطيفًا مَعَ الكِلابِ الأُخْرى ، وَكانَتْ هِيَ مِنْ جانِبِها تَرْهَبُهُ .

كانَ سَيِّدُهُ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ يَعْرِفُ عَنْهُ هَذا الاخْتِلافَ ، وَيُقَدِّرُهُ كَثيرًا لِهَذا السَّبَبِ ، وَلَكِنْ كانَتْ في النّابِ الأَبْيَضِ نُقْطَةُ ضَعْفٍ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَتَحَمَّلُ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ أَحَدٌ ، فَالسُّخْرِيَةُ مِنْهُ تَجْعَلُهُ شَيْطانًا فَيَشْتَدُّ جُنونُهُ ، وَيَتَحَوَّلُ إِلى رُعْبٍ قاتِلٍ لِأَيِّ كَلْبٍ يُصادِفُهُ .

كانَ العامُ الثّالِثُ مِنْ عُمْرِ النّابِ الأَبْيَضِ عامًا عَصيبًا - كانَ عامَ جوعٍ . فَفي الصَّيْفِ انْعَدَمَتِ الأَسْماكُ ، وَفي الشِّتاءِ كانَ ثَمَّةَ قَليلٌ مِنَ الأَيائِلِ ، حَتّى الأَرانِبُ اخْتَفَتْ . وَبَدَأَتِ الذِّئابُ تَأْكُلُ بَعْضُها بَعْضًا ، حَيْثُ الحَياةُ لِلأَقْوى فَقَطْ . وَفي المُخَيَّمِ أَكَلَتِ الكِلابُ القَوِيَّةُ الكِلابَ الضَّعيفَةَ ، وَأَكَلَ الرِّجالُ كِلابَهُمْ . وَقَدْ هَرَبَ إِلى الغابَةِ بَعْضٌ مِنْها ، وَهُناكَ كانَتْ تَهْلِكُ جوعًا أَوْ تَفْتَرِسُها الذِّئابُ .

في ذَلِكَ الوَقْتِ خَرَجَ النّابُ الأَبْيَضُ إِلى الغابَةِ ؛ إِذْ كانَ مُهَيَّأً لِلْحَياةِ هُناكَ أَكْثَرَ مِنَ الكِلابِ الأُخْرى . وَقَدْ ساعَدَهُ عَلى ذَلِكَ ما تَلَقّاهُ مِنْ تَدْريبٍ ، وَهُوَ جَرْوٌ صَغيرٌ ، فَكانَ يُمْسِكُ بِالكائِناتِ الحَيَّةِ الصَّغيرَةِ وَيَلْتَهِمُها .

وَذاتَ مَرَّةٍ لَقِيَ النّابُ الأَبْيَضُ ذِئْبًا صَغيرًا أَنْهَكَهُ الجوعُ

وَأهْزَلَهُ ، فَقَتَلَهُ وَالتهمَهُ ، وَأعْطاهُ ذَلِكَ دَفْعَةً لِمُدَّةِ يوْمَيْنِ . وَفي هَذهِ الأَثْناءِ هاجَمَتْهُ الذِّئابُ الجائِعَةُ ، وَلأنَّها كانَتْ جائِعَةً وَمُنْهَكَةً فَقَدْ حاوَلَتِ الإمْساكَ بِهِ ، وَلكِنَّهُ كانَ يَجْري أسْرَعَ مِمّا تَسْتَطيعُ هِيَ ، بَلْ إنَّهُ اسْتَدارَ وَجَرى في دائِرَةٍ وَقَتَلَ واحِداً مِنْها .

وَأخيراً أقْبَلَ الصَّيْفُ وَمَعَهُ آخِرُ أيّامِ الجوعِ . وَدَخَلَ لِبْلِب الغابَةَ غَيْرَ أنَّهُ وَجَدَ الحَياةَ هُناكَ قاسِيَةً لِلْغايَةِ ، وَظَلَّ بِشِقِّ الأنْفُسِ عَلى قَيْدِ الحَياةِ . وَفَجْأةً صادَفَهُ النّابُ الأبْيَضُ عِنْدَما دارَ حَوْلَ زاوِيَةِ إحْدى الصُّخورِ ، فَتَوَقَّفَ كُلٌّ مِنْهُما وَنَظَرَ إلى الآخَرِ . كانَ النّابُ الأبْيَضُ قَوِيّاً ، وَفي تَمامِ صِحَّتِهِ . كانَ قَنّاصاً رائِعاً ، كَما كانَ يَلْتَهِمُ كُلَّ ما يُريدُ . وَعِنْدَما حاوَلَ لِبْلِب أنْ يَفِرَّ راجِعاً ، ضَرَبَهُ النّابُ الأبْيَضُ وَطَرَحَهُ عَلى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ غَرَسَ أنْيابَهُ في رَقَبَتِهِ . لَقَدْ كانَ قِتالاً ضارِياً حَتّى المَوْتِ ، ثُمَّ مَضى النّابُ الأبْيَضُ في طَريقِهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ بَعْدَ هَذا الحادِثِ بَلَغَ طَرَفَ الغابَةِ حَيْثُ مِساحَةٌ مَكْشوفَةٌ مِنَ الأرْضِ بِالقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ . لَقَدْ جاءَ إلى هَذا المَكانِ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ آنَذاكَ أيُّ شَيْءٍ . وَلكِنِ الآنَ بِهِ قَرْيَةٌ تَزْخَرُ بِالمَنازِلِ وَالأصْواتِ الَّتي يَعْرِفُها – لَقَدْ كانَتْ هِيَ القَرْيَةَ القَديمَةَ بَعْدَ أنِ انْتَقَلَتْ إلى مَوْقِعٍ جَديدٍ . وَالآنَ لا جوعَ فيها كَما كانَ الحالُ عِنْدَما تَرَكَها ؛ فَقَدْ سَمِعَ أصْواتاً سَعيدَةً ، وَكانَتْ رائِحَةُ

السَّمَكِ تَنْتَشِرُ ، فَخَرَجَ مِنَ الغابَةِ وَمَضى فَوْراً نَحْوَ خَيْمَةِ القُنْدُس الأشْهَبِ ، فَهَشَّتْ لَهُ زَوْجَتُهُ في ابْتِهاجٍ ، وَقَدَّمَتْ إلَيْهِ سَمَكَةً طازَجَةً . ثُمَّ رَقَدَ النّابُ الأبْيَضُ عَلى الأرْضِ في انْتِظارِ عَوْدَةِ القُنْدُس الأشْهَبِ .

الفصل العاشر

عدوُّ الجميع

عِنْدَما جُعِلَ النّابُ الأَبْيَضُ قائِداً لِلْكِلابِ الّتي تَجُرُّ الزَّحّافَةَ ، صارَ مَوْضِعَ كَراهِيَةِ الكِلابِ الأُخْرى ؛ لأَنَّهُ كانَ يُمْنَحُ مَزيداً مِنَ اللَّحْمِ ، وَلأَنَّهُ كانَ يَنْظُرُ نَحْوَهُمْ مِنَ المُقَدِّمَةِ وَكأَنَّهُ يَجْري بَعيداً عَنْها . وَكانَ النّابُ الأَبْيَضُ يُبادِلُ الكِلابَ الأُخْرى الكَراهِيَةَ ؛ لأَنَّهُ كانَ مُضْطَرّاً إلى العَدْوِ بَعيداً عَنْ تِلْكَ الكِلابِ الّتي هَزَمَها في مَعارِكَ عَديدَةٍ طَوالَ السَّنواتِ الثَّلاثِ الماضِيَةِ .

وَعِنْدَما صَدَرَ الأَمْرُ بِالتَّحَرُّكِ ، قَفَزَتْ جَميعُ الكِلابِ نَحْوَهُ ، وَهِيَ تَصْرُخُ بِوَحْشِيَّةٍ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ أَنْ يَسْتَدِيرَ وَيُواجِهَها ؛ لأَنَّ قائِدَ العَرَبَةِ كانَ يَضْرِبُهُ وَيَدْفَعُهُ إلى الأَمامِ ، وَلِذَلِكَ كانَ مُضْطَرّاً إلى العَدْوِ بَعيداً ، وَكانَ قَلْبُهُ مُفْعَماً بِالكَراهِيَةِ – كَراهِيَةِ جَميعِ الكِلابِ الأُخْرى . وَكانَ يَمْشي في المُخَيَّمِ وَحيداً ، جاعِلاً بَقِيَّةَ

الكِلابِ تُقاسي في اللَّيْلِ بَعْضَ ما قاساهُ أَثْناءَ النَّهارِ . أَمّا الآنَ فَقَدِ اتَّحَدَتْ ضِدَّهُ الكِلابُ الأُخْرى الّتي تَجْري خَلْفَهُ جارَّةً الزَّحّافَةَ .

وَكانَ ثَمَّةَ سَبَبٌ آخَرُ لِكَراهِيَتِها لَهُ ؛ فَقَدْ كانَتِ تَشْعُرُ بِأَنَّهُ مُخْتَلِفٌ عَنْها بِشَكْلٍ ما ؛ كانَتْ هِيَ كِلاباً لَمْ تَعُدْ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ تَذْكُرُ البَرِّيَّةَ – أَرْضَ الذِّئابِ ، وَلَكِنَّها كانَتْ تَشْعُرُ بِأَنَّ في داخِلِهِ شَيْئاً وَحْشِيّاً ، مُخيفاً ، خَطيراً . وَكانَتْ حَريصَةً عَلى أَنْ تَكونَ كُلُّها مَعاً . لأَنَّهُ كانَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَقْتُلَها جَميعاً مُنْفَرِدَةً واحِداً واحِداً ، وَلَكِنَّ الفُرْصَةَ لَمْ تَسْنَحْ لَهُ مُطْلَقاً . وَكانَتْ الكِلابُ تَتَعارَكُ فيما بَيْنَها ، فَإِذا ظَهَرَ النّابُ الأَبْيَضُ نَسِيَتْ عِراكَها وَتَكاتَفَتْ لِمُواجَهَتِهِ . وَقَدْ حاوَلَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ كانَ أَسْرَعَ مِنْها وَأَمْكَرَ ، حَتّى إِنَّ سَيِّدَهُ القُنْدُسَ الأَشْهَبَ قالَ عَنْهُ يَوْماً : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَطُّ نَظيرٌ ! »

* * *

وَعِنْدَما بَلَغَ عُمْرُهُ خَمْسَ سَنَواتٍ تَقْريباً اصْطَحَبَهُ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ في رِحْلَةٍ طَويلَةٍ ، فَصادَفَ في طَريقِهِ كَثيراً مِنْ كِلابِ القُرى المُجاوِرَةِ وَتَقابَلَ مَعَها ، وَكانَ دائِمَ الكَسْبِ في المَعارِكِ .

وَفي الصَّيْفِ بَلَغا قَرْيَةَ « فُورْت يوكُن » ، وَكانَ بِها كَثيرٌ مِنَ الهُنودِ ، وَتَسودُها الضَّجَّةُ وَالحَرَكَةُ ، وَكانَ ذَلِكَ في عام ١٨٩٨ ،

وَكانَ آلافُ النّاسِ يَمُرّونَ خِلالَ القَرْيَةِ في طَريقِهِمْ إلى « كلُونْدايْك » ، حَيْثُ كانَ الذَّهَبُ قَدِ اكْتُشِفَ . وَهُناكَ تَوَقَّفَ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ ، لِيَبيعَ جُلودَ الحَيَواناتِ وَبَعْضَ الأَحْذِيَةِ الجِلْدِيَّةِ وَأَشْياءَ أُخْرى . وَكانَتِ التِّجارَةُ هُناكَ شَديدَةَ الازْدِهارِ .

وَفي فُورت يوكُن رَأى النّابُ الأَبْيَضُ – لِأَوَّلِ مَرَّةٍ – رِجالاً بيضَ البَشَرَةِ ، وَكانَ السّادَةُ البيضُ يَبْدونَ أَكْثَرَ قُوَّةً مِمَّنْ رَآهُمْ مِنْ قَبْلُ . وَكانَتْ بُيوتُهُمْ أَكْبَرَ حَجْماً مِنْ خِيامِ الهُنودِ ، كَما كانوا يَسْتَطيعونَ القِيامَ بِأَعْمالٍ كَثيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، أَفْضَلَ مِمّا يَفْعَلُ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ وَأَشْباهُهُ .

في بادِئِ الأَمْرِ كانَ خائِفاً مِنْهُمْ بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَأَخَذَ يُراقِبُهُمْ مِنْ مَكانٍ آمِنٍ ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ ، فَشاهَدَهُ الرِّجالُ البيضُ ، وَأَخَذوا يُشيرونَ نَحْوَهُ . وَكانوا كُلَّما اقْتَرَبوا مِنْهُ أَكْثَرَ كَشَّرَ النّابُ الأَبْيَضُ عَنْ أَنْيابِهِ وَزَمْجَرَ . وَلَمْ يَجْرُؤْ واحِدٌ مِنْهُمْ عَلى وَضْعِ يَدِهِ عَلَيْهِ . وَخَيْراً فَعَلوا .

وَبَعْدَ قَليلٍ عَلِمَ النّابُ الأَبْيَضُ أَنَّ قِلَّةً مِنْ هؤُلاءِ الرِّجالِ البيضِ – يَبْلُغونَ عَشَرَةً أَوِ اثْنَيْ عَشَرَ – يَقْطُنونَ في هذا المَكانِ ، وَكُلَّ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ يَأْتي إلى الشّاطِئِ بَيْتٌ ضَخْمٌ مُتَحَرِّكٌ « باخِرَةٌ » وَيَقِفُ هُناكَ عِدَّةَ ساعاتٍ . وَيَخْرُجُ مِنْهُ رِجالٌ بيضٌ ثُمَّ

يَرْحَلونَ فيهِ مَرَّةً أُخْرى . كانَتْ هُناكَ أَعْدادٌ ضَخْمَةٌ مِنْ هؤُلاءِ الرِّجالِ البيضِ ، وَقَدْ رَأى مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِمّا رَأى مِنَ الهُنودِ طَوالَ حَياتِهِ .

رُبَّما كانَ هؤُلاءِ الرِّجالُ البيضُ الَّذينَ يَأْتونَ بِالبَواخِرِ أَقْوِياءَ ، وَلكِنَّ كِلابَهُمْ كَذلِكَ ، كانَتْ مُخْتَلِفَةَ الأَشْكالِ وَالأَحْجامِ ، وَكانَتْ رِخْوَةً قَليلَةَ الحيلَةِ ؛ تُصْدِرُ كَثيراً مِنَ الضَّوْضاءِ ، وَلكِنَّها لا تَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ القِتالِ . وَقَدِ انْدَفَعَتْ مَرَّةً نَحْوَ النّابِ الأَبْيَضِ ، وَلكِنَّهُ قَفَزَ جانِباً وَخَبَطَ بِكَتِفِهِ واحِداً مِنْها ، وَعَضَّهُ في رَقَبَتِهِ وَلكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ ، بَلْ قامَتِ الكِلابُ الهِنْدِيَّةُ بِتَمْزيقِهِ إرْباً إرْباً . إنَّ النّابَ الأَبْيَضَ لَمْ يَكُنْ لِيَقْتُلَ ؛ لأَنَّهُ كانَ يَعْرِفُ أَنَّ الرِّجالَ البيضَ يَغْضَبونَ إذا ما قُتِلَتْ كِلابُهُمْ . وَعَلى أَثَرِ ذلِكَ تَدَخَّلَ الرِّجالُ البيضُ بِالهِراواتِ وَانْهالوا ضَرْباً عَلى الكِلابِ الهِنْدِيَّةِ . أَمّا النّابُ الأَبْيَضُ فَقَدْ مَضى طَليقاً ، وَ وَقَفَ عَلى مَسافَةٍ غَيْرِ بَعيدَةٍ يُشاهِدُ ما يَحْدُثُ . لَقَدْ كانَ جِدَّ حَكيمٍ .

حَدَثَ ذلِكَ عِدَّةَ مَرّاتٍ ، فَتَعَلَّمَتِ الكِلابُ الهِنْدِيَّةُ أَنَّهُ عِنْدَ مُهاجَمَةِ كَلْبَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ ، يَسوقُ الرِّجالُ البيضُ كِلابَهُمْ جَميعاً إلى داخِلِ السَّفينَةِ ، ثُمَّ يُهاجِمونَ الكِلابَ الهِنْدِيَّةَ . وَفي إحْدى المَرّاتِ أَخَذَ رَجُلٌ أَبْيَضُ بُنْدُقِيَّةً وَأَطْلَقَها عَلى سِتَّةِ كِلابٍ هِنْدِيَّةٍ

فقتلَها جَميعاً . وَقدِ استَمْتَعَ النابُ الأبْيَضُ بِكُلِّ ما حَدَثَ ، وَلكِنَّهُ
كانَ حَريصاً عَلى ألا يُصيبَهُ أذًى . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ عَمَلٌ يَقومُ بِهِ ،
فَقَدْ كانَ القُنْدُسُ الأشْهَبُ مُنْهَمِكاً في التِّجارَةِ وَجَمْعِ المالِ .
وَلِهَذا كانَ يَنْتَظِرُ النّابُ الأبْيَضُ السُّفُنَ مَعَ جَمْعٍ مِنَ الكِلابِ
الهِنْدِيَّةِ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ . لَمْ يَكُنْ يُخالِطُ الكِلابَ الأخْرى بَلْ
كانَ يُهاجِمُ الكَلْبَ الغَريبَ ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ لَها لِكَيْ تُجْهِزَ عَلَيْهِ .

وَعِنْدَما كانَ النّابُ الأبْيَضُ جَرْواً كانَتْ حَياتُهُ تَعِسَةً بِسَبَبِ
لِبْلِب وَالجِراءِ الأخْرى ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَكانَ قَدْ شَبَّ كَأيِّ كَلْبٍ
آخَرَ ، يُحِبُّ الكِلابَ الأخْرى وَلا يَكْرَهُها . وَلَوْ كانَ في قَلْبِ
القُنْدُسِ الأشْهَبِ أيَّةُ شَفَقَةٍ أوْ حُبٌّ لَكانَ النّابُ الأبْيَضُ أكْثَرَ شَفَقَةً
وَأوْفَرَ حُبّاً . وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، فَصارَ عَلى ما هُوَ عَلَيْهِ –
مُشاكِساً وَعَدُوّاً لِسائِرِ الكِلابِ الأخْرى .

الفصل الحادي عشر

السَّيِّدُ المجنون

كانَ يَقْطُنُ في فورت يوكُن عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ الرِّجالِ البيضِ ،
وَيُقيمونَ بِها مُنْذُ أمَدٍ بَعيدٍ ، وَكانوا يَحْسَبونَ أنَّهُمْ أفْضَلُ مِنْ أولَئِكَ
الغُرَباءِ . وَكانَ يَسُرُّهُمْ مُشاهَدَةُ النّابِ الأبْيَضِ وَالكِلابِ الهِنْدِيَّةِ ،
وَهِيَ تُهاجِمُ كِلابَ السُّفُنِ البُخارِيَّةِ . فَعِنْدَما تَصِلُ إحْدى السُّفُنِ
البُخارِيَّةِ كانوا يُهْرَعونَ إلى ضِفَّةِ النَّهْرِ لِمُشاهَدَةِ هَذِهِ التَّسْلِيَةِ .
وَقَدْ لاحَظوا مَهارَةَ النّابِ الأبْيَضِ في بَدْءِ المَعْرَكَةِ ، وَنَأيَهُ بِنَفْسِهِ عَنِ
المَتاعِبِ . وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ يَروقُ لَهُ ذَلِكَ بِوَجْهٍ خاصٍّ . كانَ يَأتي
عَدْواً عِنْدَ سَماعِهِ أوَّلَ صَوْتٍ يَصْدُرُ عَنِ السَّفينَةِ ، وَكانَ مُغْرَماً
بِمُشاهَدَةِ النّابِ الأبْيَضِ ، وَيُريدُ أنْ يَقْتَنِيَهُ لِنَفْسِهِ . وَكانَ الآخَرونَ
يُطْلِقونَ عَلى ذَلِكَ الرَّجُلِ اسْمَ « بيوتي » – بيوتي سميث ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَكُنْ جَميلاً ، كَما يَعْني اسْمُهُ بِالإنْجِليزِيَّةِ ، بَلْ قَبيحٌ لِلْغايَةِ .

لَقَدْ كانَ ذا رأسٍ صَغيرٍ عَلى جَسَدٍ نَحيلٍ . وَلَهُ عَيْنانِ كَبيرَتانِ مُتَباعِدَتانِ في وَجْهٍ كَبيرٍ لِلْغايَةِ . وَكانَ الجُزْءُ السُّفْلِيُّ مِنْ فَكِّهِ كَبيراً جِدًّا ، عَلى حينِ كانَتْ أَسْنانُهُ السُّفْلِيَّةُ الكَبيرَةُ تَبْرُزُ إِلى الأمامِ ، فَكانَ يَبْدو كَمُحارِبٍ شَرِسٍ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، بَلْ كانَ ضَعيفاً وَرِعْديداً . وَكانَ يَتَوَلّى الطَّهْيَ لِلرِّجالِ الآخَرينَ الَّذينَ كانوا يَعْرِفونَ أَنَّهُ شِرّيرٌ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَكونوا يُسيئونَ مُعامَلَتَهُ . وَكانوا يَخافونَهُ إِلى حَدٍّ ما ؛ فَهُوَ أَحْياناً يَغْضَبُ فَجْأَةً ، فَيَخْشَوْنَ أَنْ تُصيبَهُمْ مِنْهُ طَلْقَةٌ في الظَّهْرِ ، أَوْ يَدُسَّ لَهُمُ السُّمَّ في الطَّعامِ .

كانَ بيوتي سميث مُعْجَباً بِالنّابِ الأَبْيَضِ وَيَرْغَبُ في امْتِلاكِهِ ؛ فَحاوَلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ ، وَلكِنَّهُ كَشَّرَ عَنْ أَنْيابِهِ مُبْتَعِداً عَنْهُ . كانَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ رَجُلٌ شِرّيرٌ فَكَرِهَهُ .

جاءَ بيوتي سميث إِلى مُخَيَّمِ القُنْدُسِ الأَشْهَبِ ، وَسَمِعَ النّابُ الأَبْيَضُ وَقْعَ أَقْدامِهِ ، فَعَرَفَ صاحِبَها . وَنَهَضَ بِسُرْعَةٍ وَمَضى في هُدوءٍ إِلى طَرَفِ الخَيْمَةِ . وَكانَ بِإِمْكانِهِ أَنْ يَرى الرَّجُلَ وَالقُنْدُسَ الأَشْهَبَ وَهُما يَتَحَدَّثانِ مَعاً . وَأَثْناءَ ذَلِكَ حَدَثَ أَنْ أَشارَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَزَمْجَرَ النّابُ الأَبْيَضُ ، وَضَحِكَ الرَّجُلُ ، فَابْتَعَدَ النّابُ الأَبْيَضُ عَنْهُ وَاخْتَبَأَ في الغابَةِ .

* * *

رَفَضَ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ أَنْ يَبيعَ النّابَ الأَبْيَضَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ غَنِيًّا مِنْ تِجارَتِهِ وَلا يَحْتاجُ شَيْئاً آخَرَ ، كَما أَنَّ النّابَ الأَبْيَضَ كانَ أَفْضَلَ كَلْبٍ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَظيرٌ بَيْنَ الكِلابِ في طولِ البِلادِ وَعَرْضِها . وَلكِنَّ بيوتي سميث كانَ يَعْرِفُ طِباعَ الهُنودِ ، فَكانَ يَأْتي إِلى مُخَيَّمِ القُنْدُسِ الأَشْهَبِ وَتَحْتَ مِعْطَفِهِ دائِماً زُجاجَةٌ سَوْداءُ . وَكانَ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ يُريدُ المَزيدَ وَالمَزيدَ مِنْ هذا الشَّرابِ القَوِيِّ ، وَعَلى اسْتِعْدادٍ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ لِيَحْصُلَ مِنْهُ عَلى المَزيدِ وَالمَزيدِ . وَكانَ المالُ الَّذي يَكْسِبُهُ مِنَ التِّجارَةِ يَنْفَدُ بِسُرْعَةٍ ، وَفي النِّهايَةِ ذَهَبَ المالُ ، وَذَهَبَ كُلُّ ما لَدَيْهِ ، كَما ذَهَبَ عَقْلُهُ وَفِطْنَتُهُ ، وَبَقِيَ عَطَشُهُ فَقَطْ . ثُمَّ بَدَأَ بيوتي سميث يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرى عَنْ بَيْعِ النّابِ الأَبْيَضِ ، وَفي هذِهِ المَرَّةِ لَمْ يَعْرِضْ مالاً بَلْ زُجاجاتٍ مِنْ ذاكَ الشَّرابِ .

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ ، عِنْدَما رَقَدَ النّابُ الأَبْيَضُ لِيَنامَ ، جاءَ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ وَ وَضَعَ حَبْلاً حَوْلَ رَقَبَتِهِ . وَأَقْبَلَ بيوتي سميث يَحْمِلُ هِراوَةً ثَقيلَةً ، ثُمَّ ناوَلَ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ طَرَفَ الحَبْلِ لِبيوتي ، وَبَدَأَ بيوتي في الابْتِعادِ . فَأَلْقى النّابُ الأَبْيَضُ بِنَفْسِهِ عَلى بيوتي ، وَلكِنَّ بيوتي لَمْ يَقْفِزْ بَعيداً ؛ فَقَدْ كانَ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَضَرَبَهُ بِالهِراوَةِ ، فَأَلْقاهُ عَلى الأَرْضِ . وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ . وَأَخيراً تَبِعَهُ النّابُ

الأَبْيَضُ في حُزْنٍ وَهُوَ يُزَمْجِرُ . وَقَدْ هَرَبَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَرَجَعَ إلى القُنْدُسِ الأَشْهَبِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَرُدُّهُ . لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ القُنْدُسَ الأَشْهَبَ ، وَلَكِنَّهُ كانَ وَفِيًّا لَهُ .

وَقَدْ رُبِطَ النّابُ الأَبْيَضُ في سِلْسِلَةٍ حَتّى لا يَسْتَطيعَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنْها . وَرَحَلَ القُنْدُسُ الأَشْهَبُ مِنْ فُورْت يوكُن ، وَبَقِيَ النّابُ الأَبْيَضُ في حَوْزَةِ سَيِّدٍ نِصْفِ مَجْنونٍ ، وَهُوَ في الوَقْتِ نَفْسِه ذو طَبيعَةٍ بَهيمِيَّةٍ . وَكانَ النّابُ الأَبْيَضُ يُدْرِكُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَيْضاً أَنَّ هَذا الرَّجُلَ هُوَ السَّيِّدُ الجَديدُ الَّذي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْدُمَهُ وَيُطيعَ أَوامِرَهُ .

الفصل الثاني عشر

شَيْطانٌ أَكْثَرُ مِنْهُ كَلْباً

تَحْتَ إِشْرافِ السَّيِّدِ المَجْنونِ ، غَدا النّابُ الأَبْيَضُ شَيْطاناً مُجَسَّداً ، وَقَدْ ظَلَّ مُقَيَّداً بِسِلْسِلَةٍ في فِناءٍ صَغيرٍ خَلْفَ القَلْعَةِ . وَكانَ بيوتي سميث يَعْمَلُ عَلى أَنْ يَجْعَلَهُ أَكْثَرَ وَحْشِيَّةً ، كَما اكْتَشَفَ مَدى كَراهِيَتِهِ لأَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ أَحَدٌ . وَرَغْمَ ذَلِكَ كانَ يَحْتالُ عَلَيْهِ بِبَعْضِ الخُدَعِ السَّخيفَةِ ، ثُمَّ يُشيرُ إِلَيْهِ وَيَسْتَغْرِقُ في الضَّحِكِ ؛ فَيُصْبِحُ النّابُ الأَبْيَضُ حينَئِذٍ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّدِهِ جُنوناً . كانَ يَكْرَهُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ الكِلابَ وَالنّاسَ وَكُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . وَكانَ لِبيوتي سميث هَدَفٌ مِنْ وَراءِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ تَجَمَّعَ عَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ حَوْلَ الفِناءِ ، وَأَقْبَلَ بيوتي سميث يَحْمِلُ هِراوَةً في يَدِهِ ، ثُمَّ نَزَعَ السِّلْسِلَةَ مِنَ النّابِ الأَبْيَضِ ، وَخَرَجَ بِسُرْعَةٍ . وَراحَ النّابُ الأَبْيَضُ يَدورُ في أَرْجاءِ الفِناءِ مُحاوِلاً النَّيْلَ مِنَ الرِّجالِ الَّذينَ بِالخارِجِ . كانَ طولُهُ يَبْلُغُ مِتْراً وَنِصْفَ المِتْرِ،

وارْتفاعُ ثلاثةَ أرْباعِ المترِ. كانَ أثقلَ مِنْ أيِّ ذِئبٍ .

وفُتحَ بابُ الفِناءِ ، ودُفعَ بِأحدِ الكِلابِ إلى الدّاخلِ – كانَ أكْبرَ كلْبٍ يراهُ النّابُ الأبْيضُ ، وكانَ مِنْ نوْعٍ يُطلَقُ عليْهِ الدّرْواس ، وهُوَ مِنْ كِلابِ الحِراسةِ الضّخْمةِ القويّةِ . ولَمْ يَخفِ النّابُ الأبْيضُ ، بَلْ هجمَ عليْهِ . وكانَ الدّرْواسُ ضخْماً ، ولكنّهُ بطيءٌ ، أمّا النّابُ الأبْيضُ فكانَ يَقفِزُ هُنا وهُناكَ وفي كُلِّ مكانٍ ، وكانَ يُهاجِمُ ثُمَّ يَقفِزُ بعيداً ليَتفادى هُجومَ الكَلْبِ الآخرِ .

وكانَ الرِّجالُ يَتصايَحونَ في الخارِجِ ، أمّا بيوتي سميث فكانَ يرْقُصُ في مَرَحٍ . لَمْ يكُنْ ثمّةَ أيُّ أمَلٍ للدّرْواسِ . وفي النّهايةِ سَحَبَ صاحِبُ الماسْتيف كلْبَهُ مِنَ السّاحةِ ، وكَسَبَ بيوتي سميث مَبلَغاً كبيراً مِنَ المالِ مِنْ وراءِ المعْركةِ .

* * *

وتكرّرتْ مِثْلُ هذهِ المعارِكِ مِراراً ، وبَدأَ النّابُ الأبْيضُ يَتطلّعُ إلى احْتشادِ الرِّجالِ حَوْلَ المكانِ الّذي يُقيمُ فيهِ ؛ إذْ كانَ معْنى ذلكَ المزيدَ مِنَ المعارِكِ ، وكانَ هذا هُوَ السّبيلَ الوَحيدَ الّذي يَستطيعُ بِهِ أنْ يُظهِرَ حيويّتَهُ ، وكانَ الفوْزُ دائماً مِنْ نَصيبِهِ . وقَدْ صارعَ ذِئباً كامِلَ النُّموِّ جلَبوهُ رأساً مِنَ الغابَةِ ، كَما واجهَ – ذاتَ مرّةٍ –

كلْبيْنِ في وَقْتٍ واحِدٍ معاً .

وعِنْدَما حلَّ فصْلُ الشّتاءِ ، ذهَبَ بيوتي سميث إلى مَدينَةِ داوْسون ، واصطَحَبَ معَهُ النّابَ الأبْيضَ واضِعاً إيّاهُ في قَفَصٍ . وعِنْدَما وَصلَتِ السّفينَةُ إلى داوْسون قُدِّمَ على أنّهُ الذِّئبُ المُقاتِلُ ، ودَفعَ الرِّجالُ مبْلغاً كَبيراً مِنَ المالِ لِمُشاهَدتِهِ . وهكَذا لَمْ يَكُنْ يَهْنأُ بِشيْءٍ مِنَ الرّاحةِ . وعِنْدَما كانَ يرْقُدُ لِينامَ كانَ بيوتي يَزْجرُهُ بِعَصاهُ حتّى يُنمّيَ فيهِ روحَ الشّراسَةِ ، فَيُكشّرَ عَنْ أنْيابِهِ ، ويَقفِزَ في وُجوهِ الرِّجالِ مِنْ خَلْفِ قُضْبانِ القَفَصِ . وكانَتْ كُلُّ كلِمَةٍ وكُلُّ حَركَةٍ تَصْدُرُ عَنِ المُشاهِدينَ تَجعَلُهُ يَشْعُرُ بِأنّهُ حَيوانٌ شرِسٌ شَديدُ الخَطَرِ .

وكانَ يَدْخُلُ أيْضاً في معارِكَ ضارِيَةٍ مَعَ الكِلابِ الأخْرى ، وكانَتِ النُّقودُ تُدْفَعُ لِصاحِبِ الكَلْبِ الفائِزِ ، الّتي كانَتْ بِالطّبْعِ مِنْ نَصيبِ بيُوتي سميث . ولَمّا كانَتْ مُصارَعاتُ الكِلابِ مَحْظورَةً في المدينَةِ ، فَقَدْ كانَ النّابُ الأبْيضُ يُنْقَلُ كُلَّ مرّةٍ في قَفَصٍ عِدّةَ كيلومتْراتٍ داخِلَ الغابَةِ ، وهُناكَ تَبْدأُ المُصارَعاتُ مَعَ ضَوْءِ الصّباحِ. وقَدْ أخذَتْ هذِهِ المُصارَعاتُ تَقِلُّ مَعَ الأيّامِ ؛ لأنَّ الرِّجالَ لَمْ يكُنْ بِاسْتِطاعَتِهِمُ العُثورُ على كَلْبٍ يَصْلُحُ نِدّاً لَهُ .

وأخَذَ بيوتي سميث يُراهِنُ على ما يَصْطادُهُ الهُنودُ مِنْ ذِئابٍ ،

وَكانَ الصِّراعُ بَيْنَ النابِ الأَبْيَضِ وَبَيْنَها مَجْلَبَةً لِجُمْهورٍ غَفيرٍ ، وَكانَ الفَوْزُ دائِماً ما يكونُ مِنْ نَصيبِ النّابِ الأَبْيَضِ . وَذاتَ مَرَّةٍ أَحْضَروا لَهُ وَشَقَةً مُتَوَحِّشَةً كانَتْ تُضارِعُهُ في السُّرْعَةِ ؛ فَكانَ عَلى النّابِ الأَبْيَضِ أَنْ يُصارِعَ مِنْ أَجْلِ البَقاءِ .

وَتَوَقَّفَتِ المُصارَعاتُ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِذْ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حَيَواناتٌ لِلْمُصارَعَةِ ، وَلِذَلِكَ كانَ النّاسُ يَأتونَ فَقَطْ لِلفُرْجَةِ عَلَيْهِ .

وَفي الرَّبيعِ وَصَلَ تيم كينان وَمَعَهُ أَوَّلُ كَلْبٍ من نَوْعِ البولْدُغ يَصِلُ إِلى البِلادِ ، وَهُوَ كَلْبٌ ذو رَقَبَةٍ قَصيرَةٍ لِلْغايَةِ ، وَلا يَعَضُّ أَوْ يُمَزِّقُ كَما تَفْعَلُ الكِلابُ الأُخْرى ، وَإِنَّما يَغْرِسُ أَسْنانَهُ في ضَحِيَّتِهِ وَلا يَتْرُكُها أَبَداً .

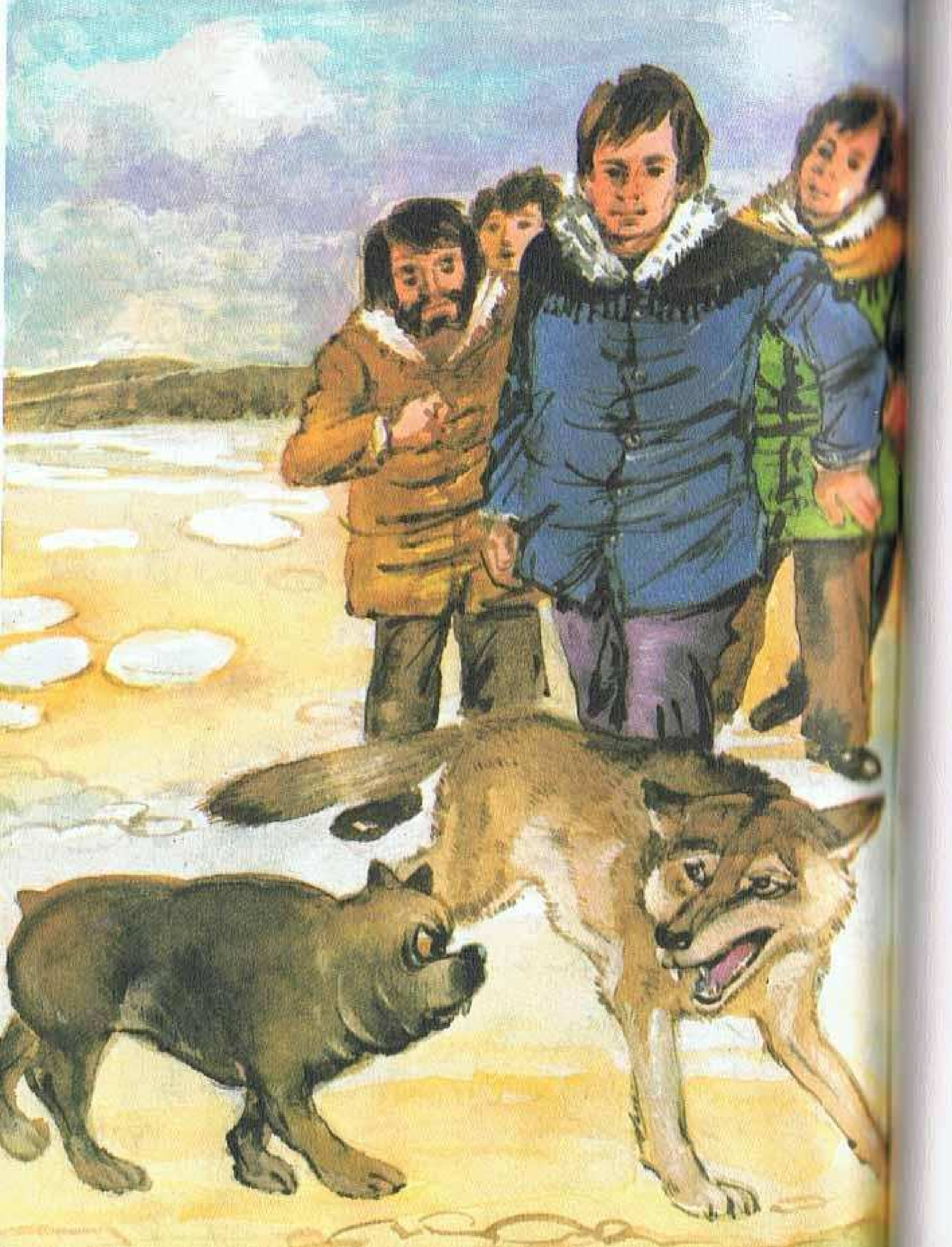
وَعَلى مَدى أُسْبوعٍ بِأَكْمَلِهِ ، ظَلَّ كُلٌّ واحِدٍ يَتَحَدَّثُ عَنِ المُصارَعَةِ الَّتي يَجْري الإِعْدادُ لَها بَيْنَ النّابِ الأَبْيَضِ وَالبولْدُغ .

الفصل الثالث عشر

البولدُغ

كانَ يُطْلَقُ عَلى الكَلْبِ البولْدُغ اسْمُ شيروكي . وَنَزَعَ بيوتي سميث السِّلْسِلَةَ عَنْ رَقَبَةِ النّابِ الأَبْيَضِ ، وَتَراجَعَ إِلى الخَلْفِ . لَمْ يَبْدَإِ النّابُ الأَبْيَضُ الهُجومَ فَوْراً ، بَلْ وَقَفَ دونَ حَراكٍ يَتَأَمَّلُ الحَيَوانَ الَّذي يُواجِهُهُ ، فَهُوَ لَمْ يَرَ كَلْباً مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ . أَمّا البولْدُغ فَقَدْ تَحَرَّكَ بِبُطْءٍ عَلى أَرْجُلِهِ القَصيرَةِ حَتّى مَرْكَزِ الدائِرَةِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ وَنَظَرَ إِلى النّابِ الأَبْيَضِ .

صاحَ الجُمْهورُ : « شيروكي ، عَلَيْكَ بِهِ !» وَلَكِنْ لَمْ يَبْدُ عَلى شيروكي أَنَّهُ مُتَحَمِّسٌ لِمُصارَعَتِهِ ، وَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَنْ خَوْفٍ بَلْ كانَ فَرْطَ كَسَلٍ فَقَطْ . وَدَخَلَ تيم كينان إِلى الحَلْقَةِ ، وَدَفَعَ شيروكي إِلى الأَمامِ ، فَضَرَبَهُ النّابُ الأَبْيَضُ ، ثُمَّ ارْتَدَّ بَعيداً ، وَإِذا بِرَقَبَةِ البولْدُغ تَنْزِفُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبْدِ أَيَّةَ إِشارَةٍ أَوْ يُصْدِرْ أَيَّةَ أَنينٍ ، بَل



اسْتدارَ وَحاولَ أنْ يَلْحقَ بِالنّابِ الأبْيَضِ . وَفَجْأةً قَفزَ النّابُ الأبْيَضُ وَعقَرَ البولْدُغ ثُمَّ ابْتَعَدَ في خِفَّةٍ ، وَكرَّرَ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَعدُوُّهُ لا يَزالُ يُلاحِقُهُ . وَكانَ النّابُ الأبْيَضُ يَتحَرَّكُ في دائِرَةٍ . وَتحرَّكَ البولْدُغ إلى داخِلِ الدّائِرَةِ مُحاوِلاً غَرْسَ أنْيابِهِ في رَقَبَتِهِ ، وَحاولَ النّابُ الأبْيَضُ أنْ يَطْرَحَهُ أرْضاً . لكِنَّ كَتِفَهُ كانَتْ أعْلى مِنْ ظَهْرِ شيروكي ، فَتَلَقّى ضَرْبَةً شَديدَةً جَعلَتْهُ يَسْقُطُ فَوْقَ جِسْمِ البولْدُغ تَماماً ، وَكانَتِ السَّقْطَةُ على جَنْبِهِ . وَفي لَحْظَةٍ كانَتْ أسْنانُ شيروكي تُطْبِقُ على رَقَبَتِهِ .

وَهَبَّ النّابُ الأبْيَضُ واقِفاً وَأخَذَ يَعْدو في وَحْشِيَّةٍ وَيَدورُ مُحاوِلاً أنْ يَتَخلَّصَ مِنَ البولْدُغ .

وَظَلَّ يَدورُ وَيَدورُ والبولْدُغ لا يَزالُ مُطْبِقاً على رَقَبَتِهِ . وَأخيراً حَلَّ عَلَيْهِ التَّعَبُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَزيدَ شَيْئاً ، فَرَقَدَ على جَنْبِهِ ، وَأصْبَحَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِ أنْ يَتَنَفَّسَ . وَبَدا كَما لَوْ أنَّ المَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ . وَكانَ الجُمهورُ يَصيحُ : « شيروكي ! شيروكي ! »

وَفَجْأةً سَمِعوا صَوْتَ أجْراسٍ ، فَراحَ كُلُّ فَرْدٍ يَسْتَطْلِعُ الأمْرَ ، وَكانوا يَخْشَوْنَ الشُّرْطَةَ ، وَلكِنَّهُمْ رَأوْا رَجُلَيْنِ يَجْرِيانِ بِزَحّافَةٍ وَكِلابٍ . فَلَمّا شاهَدا الجَمْعَ أوْقَفا الكِلابَ ، وَأتَيا لِكَيْ يَعْرِفا سَبَبَ هَذا الهِياجِ . وَكانَ أحَدُهُما مُدَرِّباً لِلْكِلابِ وَيُدْعى مات ، أمّا الآخَرُ فَيُدْعى سكوت وَهُوَ شابٌّ طَويلُ القامَةِ .

كَفَّ النّابُ الأبْيَضُ تقريباً عَنِ النِّضالِ . وَكانَ بيوتي سميث يَعْلَمُ أنَّ المَعْرَكَةَ خاسِرَةٌ ، فانْقَضَّ على النّابِ الأبْيَضِ ، وَأخَذَ يَرْكُلُهُ بِقَدَمِهِ ، وَسْطَ صَيْحاتِ الجُموعِ الغاضِبَةِ . وَما كادَ بيوتي يَرْفَعُ قَدَمَهُ مَرَّةً أخْرى لِيَرْكُلَهُ حَتّى تَلَقّى ضَرْبَةً عَنيفَةً في وَجْهِهِ سَدَّدَها لَهُ سكوت رَفَعَتْ جِسْمَهُ عَنِ الأرْضِ ، وَانْقَلَبَ عَلى ظَهْرِهِ ، فَسَقَطَ عَلى الجَليدِ .

وَالتَفَتَ سكوتَ ، الشّابُّ الطَّويلُ إلى الجُمْهورِ صائِحاً : « أيُّها الوُحوشُ !» فَوَقَفَ بيوتي سميث وَمَضى نَحْوَهُ ، فَصاحَ فيهِ سكُوت : « أيُّها الوَحْشُ !» وَسَدَّدَ لَهُ لَكْمَةً أخْرى ، ثُمَّ قالَ لِرَفيقِهِ : « هَلُمَّ ساعِدْني ، يا مات .» وَانْحَنى الرَّجُلانِ فَوْقَ الكَلْبَيْنِ ، وَفَتَحا فَكَّي البولْدُغ ، ثُمَّ دَفَعا مُؤَخِّرَةَ مُسَدَّسٍ بَيْنَهُما .

وَجاءَ تيم كينان صاحِبُ البولْدُغ ، وَلَمَسَ كَتِفَ سكوت وَقالَ مُحَذِّراً : « لا تَكْسِرْ أسْنانَهُ .»

قالَ لَهُ سكوت : « إذاً فَهُوَ كَلْبُكَ .»

وَأخيراً فَتَحَ مات فَمَ البولْدُغ ، وَدَفَعَهُ سكوت لِصاحِبِهِ قائِلاً : « خُذْهُ بَعيداً .»

نَظَرَ مات إلى النّابِ الأبْيَضِ وَقالَ : « لَقَدْ أوْشَكَ أنْ يَموتَ ، وَلكِنَّهُ لا يَزالُ يَتَنَفَّسُ .»

قالَ سكوت : « إنَّ كَلْبَ الزَّحّافَةِ الجَيِّدَ يُساوي ثَلاثَمِئَةِ دولارٍ ، وَسَوْفَ أعْطي هذا الرَّجُلَ نِصْفَ هذا المَبْلَغِ .» وَأشارَ إلى صاحِبِ النّابِ الأبْيَضِ قائِلاً : « هَلْ تَسْمَعُني أيُّها الوَحْشُ ؟»

قالَ بيوتي سميث : « لَنْ أبيعَ ، وَكُلُّ إنْسانٍ حُرٌّ فيما يَمْلِكُهُ .»

قالَ سكُوت : « أجَل ، كُلُّ إنْسانٍ حُرٌّ ، وَلكِنَّكَ لَسْتَ إنْساناً ! إنَّكَ وَحْشٌ ! خُذْهُ ، وَإذا رَجَعْتَ إلى داوْسون فَسَوْفَ تَطْرُدُكَ الشُّرْطَةُ مِنَ المَدينَةِ ، هَلْ تَفْهَمُ ؟»

قالَ بيوتي سميث : « أجَلْ .»

قالَ سكوت : « أجَلْ ماذا ؟»

قالَ بيوتي : « أجَلْ ، يا سَيِّدي .»

سَأَلَ تيم كينان واحِداً مِنَ الجَمْعِ : « مَنْ يَكونُ هذا الرَّجُلُ ؟»

أجابَهُ : « إنَّهُ ويدَن سكوت ، أحَدُ الرِّجالِ المَرْموقينَ في مَجالِ تَعْدينِ الذَّهَبِ .»

قالَ كينان : « لَقَدْ تَوَقَّعْتُ أنْ يَكونَ شَخْصِيَّةً ذاتَ شَأنٍ .»

الفصل الرابع عشر
« امْنَحْهُ فرصَةً »

قالَ سكوت : « لا أَمَلَ يُرْجى مِنْهُ ! » ثُمَّ أخذَ يَنْظُرُ هُوَ ومات إلى النّابِ الأَبْيَضِ ، وَهُوَ يُناضِلُ عِنْدَ طَرَفِ السِّلْسِلَةِ ، مُزَمْجِراً وَمُحاوِلاً الوُصولَ إلى كِلابِ الزَّحّافَةِ . وَقَدْ تَعَلَّمَتْ هَذِهِ الكِلابُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهُ ، حَتّى ميجور – أَضْخَمُ الكِلابِ حَجْماً – صارَ يَعي ذَلِكَ .

قالَ سكوت : « إِنَّهُ ذِئْبٌ ، وَلا يُمْكِنُ تَرْويضُهُ . »

قالَ مات : « لا أَدْري ، وَلَكِنَّني مُتَأَكِّدٌ أَنَّ فيهِ الكَثيرَ مِنْ صِفاتِ الكَلْبِ ، وَقَدْ تَمَّ تَدْريبُهُ مِنْ قَبْلُ . انْظُرْ إلى تِلْكَ العَلاماتِ عَلى صَدْرِهِ . لَقَدْ كانَ مِنَ الكِلابِ الَّتي تَجُرُّ الزَّحّافاتِ قَبْلَ أَنْ يَقْتَنِيَهُ بيوتي سميث ، وَقَدْ يُصْبِحُ كَلْبَ زَحّافَةٍ مَرَّةً أُخْرى . »

قالَ سكوت : « هَلْ تَظُنُّ ذَلِكَ ؟ لَقَدْ أَمْضى مَعَنا أُسْبوعَيْنِ ، وَما زالَ مُتَوَحِّشاً ، بَلْ أَصْبَحَ أَكْثَرَ تَوَحُّشاً مِنْ ذي قَبْلُ . »

قالَ مات : « امْنَحْهُ فُرْصَةً ، أَطْلِقْهُ مِنْ قُيودِهِ قَليلاً . أَعْرِفُ أَنَّكَ حاوَلْتَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَسْتَعِنْ بِالهِراوَةِ . »

قالَ سكوت : « وَهُوَ كَذَلِكَ . فَلْتُحاوِلْ أَنْتَ . » أَخَذَ مات الهِراوَةَ وَذَهَبَ إلى النّابِ الأَبْيَضِ ، الَّذي أَخَذَ يَرْمُقُها بِعَيْنَيْهِ .

قالَ مات : « أَ رَأَيْتَ كَيْفَ يَرْمُقُ الهِراوَةَ بِعَيْنَيْهِ ؟ هَذِهِ بادِرَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَهُوَ لَيْسَ غَبِيًّا وَلَكِنَّهُ لا يُريدُ أَنْ يُهاجِمَني وَالهِراوَةُ في يَدي . »

وَاقْتَرَبَ مات بِيَدِهِ مِنْ رَقَبَةِ النّابِ الأَبْيَضِ فَزَمْجَرَ . لَقَدْ كانَ يُلاحِظُ يَدَهُ ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ يَنْظُرُ إلى الهِراوَةِ . وَفَكَّ السِّلْسِلَةَ وَأَطْلَقَ سَراحَهُ . وَلَمْ يُصَدِّقِ النّابُ الأَبْيَضُ أَنَّهُ صارَ حُرًّا طَليقاً ؛ إِذْ لَمْ يَشْعُرْ بِالحُرِّيَّةِ قَطُّ طَوالَ الأَشْهُرِ الَّتي كانَ فيها مِلْكاً لِبيوتي سميث ، اللَّهُمَّ إِلّا أَثْناءَ مُبارَياتِ المُصارَعَةِ . وَمَضى إلى رُكْنِ الغُرْفَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ بِضْعَ خُطُواتٍ ، وَنَظَرَ إلى الرَّجُلَيْنِ .

سَأَلَ سكوت : « أَ لَنْ يَهْرُبَ ؟ »

قالَ مات : « عَلَيْنا أَنْ نُجازِفَ . »

قالَ سكوت : « يا لَلشَّيْطانِ المِسْكينِ ! إِنَّهُ يَحْتاجُ إلى شَيْءٍ مِنَ العَطْفِ . » وَأَتى بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ ، وَأَلْقى بِها إِلَيْهِ ، فَقَفَزَ النّابُ الأَبْيَضُ بَعيداً ، وَنَظَرَ إِلَيْها هُنَيْهَةً . وَهُنا صاحَ مات يَسْتَحِثُّ

ميجور – وَهُوَ أضْخَمُ الكِلابِ الّتي تَجُرُّ الزَّحّافَةَ – وَلَكِنْ بَعْدَ فَواتِ الآوانِ ؛ فَما إنِ انْدَفَعَ مِيجور لِيَحْصُلَ عَلى قِطْعَةِ اللَّحْمِ حَتّى قَفَزَ النّابُ الأبْيَضُ نَحْوَهُ وَنَهَشَهُ ؛ فَوَقَفَ مِيجور وَالدِّماءُ تَنْزِفُ مِنْ عُنُقِهِ .

قالَ سكُوت : « إنَّهُ خطَأُ ميجور .»

وَرَفَعَ مات قَدَمَهُ لِيَرْكُلَ النّابَ الأبْيَضَ ، فَقَفَزَ هذا نَحْوَها ؛ فَنَدَّتْ عَنْ مات صَرْخَةُ أَلَمٍ حادَّةٌ . وَصاحَ وَهُوَ يُشيرُ إلى قَدَمِهِ المُلَوَّثَةِ بِالدَّمِ : « لَقَدْ أصابَني !»

قالَ سكوت : « قُلْتُ لَكَ لا أمَلَ يُرْجى مِنْهُ . لَقَدْ وَصَلْنا إلى النِّهايَةِ ، فَهِيَ الشَّيْءُ الوَحيدُ الَّذي يُمْكِنُ أنْ تَفْعَلَهُ .» ثُمَّ أخْرَجَ مُسَدَّسَهُ ، فَقالَ مات : « اسْمَعْ ، يا سكوت ، لَقَدْ صادَفَ هَذا الكَلْبُ وَقْتاً عَصيباً ، وَلا يُمْكِنُ أنْ نَتَوَقَّعَ مِنْهُ أنْ يَتَغَيَّرَ فَجْأةً .»

قالَ سكوت : « انْظُرْ إلى مِيجور .» كانَ ميجور يَلْفِظُ أنْفاسَهُ ، فَقالَ مات : « قُلْتُ إنَّها غَلْطَةُ ميجور ؛ لأنَّهُ حاوَلَ أنْ يَأْخُذَ نَصيبَ النّابِ الأبْيَضِ مِنَ اللَّحْمِ . لِماذا حاوَلْتُ أنْ أرْكُلَهُ ؟ لَمْ يَكُنْ لي حَقٌّ في أنْ أرْكُلَهُ . امنَحْهُ فُرْصَةً . إنَّهُ لَمْ يُمْنَحْ فُرْصَةً بَعْدُ .»

قالَ سكوت ، وَهُوَ يُعيدُ مُسَدَّسَهُ : « سَنَتْرُكُهُ يَجْري طَليقاً ،

وَسَنَرى مَدى أثَرِ العَطْفِ عَلَيْهِ .» وَمَضى نَحْوَ النّابِ الأبْيَضِ ، وَبَدَأَ يُلاطِفُهُ . فَحَذَّرَهُ مات قائِلاً : « يَحْسُنُ أنْ تَكونَ مَعَكَ هِراوَةٌ .»

وَلَكِنَّ سكوت هَزَّ رَأْسَهُ قائِلاً : « لا .» وَمَضى يُحاوِلُ أنْ يَجْعَلَ النّابَ الأبْيَضَ يَطْمَئِنُّ إلَيْهِ .

لَمْ يَفْهَمِ النّابُ الأبْيَضُ ، بَلْ كانَ خائِفاً . لَقَدْ قَتَلَ كَلْبَ سَيِّدِهِ وَعَقَرَ صَديقَهُ ، وَتَوَقَّعَ أنْ يَنالَ عِقابَهُ ، وَلَكِنَّ السَّيِّدَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هِراوَةٌ فَتَرَكَهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ ، وَكانَتْ يَدُ السَّيِّدِ في طَريقِها بِبُطْءٍ لِمُلامَسَةِ رَأْسِهِ ، فَرَقَدَ النّابُ الأبْيَضُ بِجِوارِهِ عَلى الأرْضِ وَهُوَ يُزَمْجِرُ . كانَ يَشْعُرُ بِبَعْضِ الخَطَرِ ، وَكانَ يَكْرَهُ أنْ يَمَسَّهُ أحَدٌ ، فَتَعالَتْ زَمْجَرَتُهُ ، وَلَكِنَّ يَدَ سَيِّدِهِ اسْتَمَرَّتْ في طَريقِها إلى رَقَبَتِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ بِهِ رَغْبَةٌ لأنْ يَعَضَّها . وَظَنَّ سكوت أنَّهُ سَريعُ الهَرَبِ بِما فيهِ الكِفايَةُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَرَفَ بَعْدُ سُرْعَةَ النّابِ الأبْيَضِ العَجيبَةَ . وَفَجْأةً أطْلَقَ سكوت صَرْخَةَ ألَمٍ ، وَقَفَزَ مات إلى جانِبِهِ ، وَتَراجَعَ النّابُ الأبْيَضُ إلى الخَلْفِ مُكَشِّراً عَنْ أنْيابِهِ . الآنَ يُمْكِنُهُ أنْ يَتَوَقَّعَ عِقاباً صارِماً مِثْلَما كانَ يُعاقِبُهُ بِهِ بيوتي سميث .

هُرِعَ مات إلى المَنْزِلِ ، وَخَرَجَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً .

صاحَ سكوت : « ماذا سَتَفْعَلُ ؟»

قالَ مات : « سَوْفَ أَقْتُلُهُ ! »

قالَ سكوت : « لا ! فَكَما سَبَقَ أنْ قُلْتَ أنتَ امْنَحْهُ فُرْصَةً . لَقَدْ بَدَأْنا تَوًّا . لَقَدْ كانَ الخَطَأُ خَطَئي . انْظُرْ إلَيْهِ . » وَكانَ النّابُ الأَبْيَضُ قَدِ انْزَوى بَعيداً في رُكْنِ الغُرْفَةِ يُزَمْجِرُ في شَراسَةٍ ، لا في سكوت ، بَلْ في مات .

قالَ سكوت : « إنَّهُ يَفْهَمُ . إنَّهُ يَعْرِفُ مَعْنى البُنْدُقِيَّةِ . ضَعِ البُنْدُقِيَّةَ جانِباً . » فَوَضَعَ مات البُنْدُقِيَّةَ ، وَابْتَعَدَ عَنْها ، فَتَوَقَّفَتْ زَمْجَرَةُ النّابِ الأَبْيَضِ ، وَرَقَدَ في هُدوءٍ . وَتَناوَلَ مات البُنْدُقِيَّةَ وَرَفَعَها إلى كَتِفِهِ ؛ فَهَدَأَ النّابُ الأَبْيَضُ ثُمَّ قَفَزَ جانِباً ، فَقالَ مات : « إنَّني أُوافِقُكَ ، يا سكوت . إنَّ هذا الكَلْبَ بَلَغَ مِنَ المَهارَةِ وَالفَهْمِ الحَدَّ الَّذي يَجِبُ مَعَهُ ألا يُقْتَلَ . »

الفصل الخامس عشر

مُعَلِّمُ الحُبّ

بَعْدَ مُضِيٍّ أَرْبَعٍ وَعِشْرينَ ساعَةً ، شاهَدَ النّابُ الأَبْيَضُ سكوت قادِماً نَحْوَهُ ، وَقَدْ عُلِّقَتْ يَدُهُ الجَريحَةُ بِالقُرْبِ مِنْ كَتِفِهِ حَتّى لا يَنْزِفَ مِنْها الدَّمُ . وَجَلَسَ سكوت عَلى مَبْعَدَةِ خُطُواتٍ مِنْهُ .

لَمْ يَكُنْ بِوُسْعِ النّابِ الأَبْيَضِ أَنْ يَعِيَ شَيْئاً بَعْدَ أَنْ أَقْدَمَ عَلى فَعْلَتِهِ النَّكْراءِ ، فَقَدْ عَقَرَ يَدَ أَحَدِ السّادَةِ ، وَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ نَتيجَةُ ذَلِكَ سَيِّئَةً عَلَيْهِ . وَلَكِنْ ها هُوَ ذا السَّيِّدُ يَجْلِسُ عَلى الأَرْضِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ عَصاً أَوْ بُنْدُقِيَّةٌ ، كَما أَنَّهُ – هُوَ النّابُ الأَبْيَضُ – حُرٌّ طَليقٌ ، يَسْتَطيعُ أَنْ يَهْرُبَ عِنْدَما يَهُمُّ السَّيِّدُ بِالوُقوفِ . وَظَلَّ السَّيِّدُ هادِئاً فَتَوَقَّفَتْ زَمْجَرَةُ النّابِ الأَبْيَضِ . ثُمَّ تَكَلَّمَ السَّيِّدُ ، فَزَمْجَرَ النّابُ الأَبْيَضُ ثانِيَةً . وَكانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ تَصْدُرُ عَنِ السَّيِّدِ تُقابَلُ بِزَمْجَرَةٍ مِنَ النّابِ الأَبْيَضِ . وَتَحَدَّثَ سكوت بِلينٍ وَرِفْقٍ ، فَبَدَأَ النّابُ الأَبْيَضُ يَشْعُرُ بِبَعْضِ الاطْمِئْنانِ الَّذي لَمْ يَشْعُرْ بِهِ قَطُّ مِنْ قَبْلُ .

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ نَهَضَ السَّيِّدُ وَدَخَلَ المَنْزِلَ ، ثُمَّ عادَ وَجَلَسَ في ذاتِ المَكانِ ، وَأَمْسَكَ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ ، فَرَفَضَ النّابُ الأَبْيَضُ أَنْ يَلْمِسَها ، فَأَلْقى بِها السَّيِّدُ عَلى الجَليدِ عِنْدَ أَرْجُلِ النّابِ الأَبْيَضِ ، فَأَخَذَ يَتَشَمَّمُها وَعَيْناهُ عَلى السَّيِّدِ . وَعِنْدَما لَمْ يَطْرَأْ شَيْءٌ ، تَناوَلَ قِطْعَةَ اللَّحْمِ وَالْتَهَمَها ، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ قِطْعَةً أُخْرى ، وَلِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ رَفَضَ أَنْ يَتَناوَلَها مِنْ يَدِهِ . وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ عِدَّةَ مَراتٍ ، وَأَخيراً رَفَضَ السَّيِّدُ أَنْ يُلْقِيَ بِقِطَعِ اللَّحْمِ وَأَبْقاها في يَدِهِ ، ثُمَّ قَدَّمَها إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ النّابُ الأَبْيَضُ نَحْوَهُ بِبُطْءٍ شَديدٍ ، فَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يَلْتَهِمَ اللَّحْمَ مِنَ اليَدِ المُمْتَدَّةِ إِلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُحَوِّلْ عَيْنَيْهِ مُطْلَقاً عَنْ سَيِّدِهِ ، وَأَطْلَقَ صَيْحَةً خَفيفَةً تُحَذِّرُهُ مِنْ أَلا يَكونَ في الأَمْرِ أَيَّةُ خُدْعَةٍ ، ثُمَّ الْتَهَمَ اللَّحْمَ قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعَةٍ .

وَاسْتَمَرَّ السَّيِّدُ يَتَحَدَّثُ في صَوْتٍ هادِئٍ عَطوفٍ ، وَكانَ العَطْفُ ، بِالنِّسْبَةِ لِلنّابِ الأَبْيَضِ ، شَيْئاً لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ عَلى الإِطْلاقِ لِذَلِكَ أَثارَ العَطْفُ في نَفْسِهِ إِحْساساً لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِهِ مِنْ قَبْلُ . آهٍ ! ما هذا ؟ أَ خُدْعَةٌ أُخْرى ؟

كانَتْ يَدُ السَّيِّدِ تَدْنو مِنْ رَأْسِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، فَزَمْجَرَ النّابُ الأَبْيَضُ ، وَبَسَطَ أُذُنَيْهِ مُغَطِّياً بِهِما رَأْسَهُ وَهُوَ يَتَأَهَّبُ . وَاقْتَرَبَتْ يَدُ السَّيِّدِ شَيْئاً فَشَيْئاً ، وَكانَ النّابُ الأَبْيَضُ يَهْبِطُ تَحْتَها فَتَتْبَعُهُ اليَدُ ، ثُمَّ

لَمَسَتْهُ بِرِفْقٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَرَبَّتَتْ عَلَيْهِ . وَظَلَّ السَّيِّدُ يَتَحَدَّثُ وَهُوَ يُرَبِّتُ عَلَيْهِ . لَقَدْ كانَ شَيْئاً لَطيفاً . ثُمَّ تَحَوَّلَ التَّرْبيتُ إِلى مُداعَبَةٍ خَلْفَ الأُذُنَيْنِ ، فَكانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مَدْعاةً لِلسُّرورِ .

وَحينَ خَرَجَ مات مِنَ المَنْزِلِ ، قَفَزَ النّابُ الأَبْيَضُ خَلْفَهُ وَزَمْجَرَ فيهِ بِوَحْشِيَّةٍ ، فَذَهَبَ سكوت إِلَيْهِ وَتَحَدَّثَ في هُدوءٍ وَرَبَّتَ عَلَيْهِ .

قالَ مات : « ما كُنْتُ لأُصَدِّقَ أَنَّ هذا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ !»

كانَتْ هذِهِ بِدايَةَ مَرْحَلَةٍ جَديدَةٍ في حَياةِ النّابِ الأَبْيَضِ – نِهايَةَ عَهْدٍ قَديمٍ حافِلٍ بِالكَراهِيَةِ وَبِدايَةَ عَهْدٍ مُفْعَمٍ بِالحُبِّ . لَقَدْ وَصَلَتْ يَدُ سكوت الرَّقيقَةُ إِلى جُذورِ طَبيعَةِ النّابِ الأَبْيَضِ ، وَلَمَسَ مَكْمَنَ الحُبِّ عِنْدَهُ . لَقَدْ أَعْجَبَ النّابَ الأَبْيَضَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالنّاسِ لَكِنَّهُ لَمْ يُحِبَّهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ الحُبَّ لا يَأْتي في يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .

لَمْ يَهْرُبِ النّابُ الأَبْيَضُ لأَنَّهُ كانَ مُحْتاجاً إِلى سَيِّدٍ ، وَقَدْ أَعْجَبَهُ سكوت ، فَكانَ يَحْرُسُهُ وَيَحْرُسُ أَمْتِعَتَهُ ، وَيَدورُ حَوْلَ البَيْتِ عِنْدَما تَنامُ كِلابُ الزَّحّافَةِ . وَكانَ عَلى أَيِّ زائِرٍ غَريبٍ لِلْبَيْتِ لَيْلاً أَنْ يَدْرَأَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَصاهُ ، حَتّى يَأْتِيَ سكوت وَيُنْقِذَهُ مِنْهُ . وَبَعْدَ ذَلِكَ عَرَفَ النّابُ الأَبْيَضُ الفَرْقَ بَيْنَ اللُّصوصِ وَالمُتَسَلِّلينَ ، وَالرِّجالِ الشُّرَفاءِ الَّذينَ يَذْهَبونَ مُباشَرَةً إِلى البُيوتِ مِنْ أَبْوابِها .

وَفي كُلِّ يَوْمٍ كانَ سكوت يُرَبِّتُ عَلى النّابِ الأَبْيَضِ وَيُناغيهِ .
وَكانَ يُزَمْجِرُ دائِماً عِنْدَ التَّرْبيتِ عَلَيْهِ ، وَلكِنْ بِنَغْمَةٍ جَديدَةٍ –
نَغْمَةٍ تَدُلُّ عَلى السَّعادَةِ وَحُسْنِ الصَّداقَةِ . وَبِمُرورِ الأَيّامِ أَصْبَحَ
التَّحَوُّلُ مِنَ الإِعْجابِ إِلى الحُبِّ أَسْرَعَ . أَصْبَحَ يَشْعُرُ بِالبَهْجَةِ في
صُحْبَةِ سَيِّدِهِ، وَبِالأَلَمِ عِنْدَ فِراقِهِ . وَلكِنَّهُ لَمْ يُفْصِحْ عَنْ مَشاعِرِهِ ،
فَلَمْ يَكُنْ يَعْدو مُطْلَقاً لِيُقابِلَ سَيِّدَهُ ، كَما لَمْ يَكُنْ يَنْبَحُ تَرْحيباً بِهِ
كَما تَفْعَلُ الكِلابُ الأُخْرى . كانَتْ عَيْناهُ فَقَطْ تُعَبِّرانِ عَنْ
مَشاعِرِهِ وَهُوَ يُتابِعُ كُلَّ حَرَكَةٍ تَصْدُرُ عَنْ سَيِّدِهِ . كانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ
يَجِبُ أَنْ يَدَعَ كِلابَ سَيِّدِهِ وَشَأْنَها . وَسَمَحَ لِمات أَنْ يُطْعِمَهُ ، فَقَدْ
كانَ صَديقاً لِسَيِّدِهِ . لكِنَّ مات لَمْ يَكُنْ لِيَجْرُؤَ أَنْ يَرْبُطَهُ في
الزَّحّافَةِ ، وَلكِنَّ سكوت كانَ يَفْعَلُ ذلِكَ . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ رَضِيَ أَنْ
يَقومَ مات بِذلِكَ أَيْضاً ، وَأَنْ يَقودَ الزَّحّافَةَ . وَبِطَبيعَةِ الحالِ كانَ
النّابُ الأَبْيَضُ هُوَ قائِدَ الكِلابِ .

وَفي أَواخِرِ الرَّبيعِ بَدَأَتْ تَحِلُّ المَتاعِبُ بِالنّابِ الأَبْيَضِ ؛ فَقَدِ
اخْتَفى سكوت مُعَلِّمُ الحُبِّ فَجْأَةً . وَلَمْ يَكُنِ النّابُ الأَبْيَضُ يَفْهَمُ
أَنَّ حَزْمَ الأَمْتِعَةِ إِنَّما هُوَ دَلالَةٌ عَلى الرَّحيلِ ، وَتَذَكَّرَ ذلِكَ فيما
بَعْدُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذلِكَ في حينِهِ .

وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْتَظَرَ النّابُ الأَبْيَضُ عَوْدَةَ سَيِّدِهِ . كانَتِ الرّيحُ

بارِدَةً ، وَلكِنَّهُ جَلَسَ يَنْتَظِرُ سَماعَ أَوَّلِ صَوْتٍ لِوَقْعِ خُطُواتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ
السَّيِّدَ لَمْ يَعُدْ . وَمَرَّتِ الأَيّامُ وَلكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ . وَمَرِضَ النّابُ الأَبْيَضُ
حَتّى اضْطُرَّ مات لِإِدْخالِهِ إِلى البَيْتِ .

قَرَأَ سكوت رِسالَةً مِنْ مات يَقولُ فيها : « ذلِكَ الكَلْبُ الذِّئْبُ
لا يُريدُ أَنْ يَعْمَلَ ، وَلا يُريدُ أَنْ يَأْكُلَ . إِنَّهُ يُريدُ أَنْ يَعْرِفَ ما حَدَثَ
لَكَ ، وَلكِنّي لا أَدْري كَيْفَ أُخْبِرُهُ . »

تَحَدَّثَ مات إِلى النّابِ الأَبْيَضِ ، وَلكِنَّهُ فَقَطْ حَوَّلَ إِلَيْهِ عَيْنَيْهِ
الكَليلَتَيْنِ ، ثُمَّ خَفَضَ رَأْسَهُ كَرَّةً أُخْرى . وَفي إِحْدى اللَّيالي سَمِعَ
مات صَوْتاً واهِناً يَصْدُرُ عَنِ النّابِ الأَبْيَضِ ، ثُمَّ رَآهُ يَنْتَصِبُ واقِفاً
عَلى رِجْلَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ ، وَقَدِ اتَّجَهَتْ أُذُناهُ صَوْبَ البابِ . وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ
سَمِعَ مات وَقْعَ أَقْدامٍ ، ثُمَّ فُتِحَ البابُ وَدَخَلَ سكوت ، وَتَصافَحَ
الرَّجُلانِ ، ثُمَّ نَظَرَ سكوت حَوْلَهُ قائِلاً : « أَيْنَ هُوَ ؟ »

لَمْ يَنْدَفِعِ النّابُ الأَبْيَضُ إِلى الأَمامِ كَما يَفْعَلُ سائِرُ الكِلابِ ،
وَلكِنَّهُ وَقَفَ ساكِناً يَتَرَقَّبُ وَيَنْتَظِرُ . وَ وَصَلَ سكوت إِلى مُنْتَصَفِ
الغُرْفَةِ وَهُوَ يُنادي عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ النّابُ الأَبْيَضُ إِلى الأَمامِ . وَجَلَسَ
سكوت إِلَيْهِ وَجْهاً لِوَجْهٍ ، وَطَفِقَ يُرَبِّتُ عَلَيْهِ وَيَفْرُكُ خَلْفَ أُذُنَيْهِ عَلى
حينَ أَخَذَ النّابُ الأَبْيَضُ يُزَمْجِرُ في قُوَّةٍ وَلكِنْ بِنَغْمَةٍ جَديدَةٍ في
صَوْتِهِ . وَفَجْأَةً دَفَعَ بِرَأْسِهِ بَيْنَ ذِراعَيْ سَيِّدِهِ وَجِسْمِهِ ، حَتّى اخْتَفى

كُلُّ جِسْمِهِ فيما عدا أُذُنَيْهِ ، وَتَوَقَّفَتْ زَمْجَرَتُهُ . نَظَرَ الرَّجُلانِ أَحَدُهُما إلى الآخَرِ ، وَكانَتْ عَيْنا سكوت تَلْمَعانِ ، وَكانَ مات يَنْطِقُ بِصُعُوبَةٍ ، وَأخيراً قالَ : « كُنْتُ دائِماً أقولُ إنَّ ذَلِكَ الذِّئبَ إنَّما هُوَ كَلْبٌ أليفٌ . انْظُرْ إلَيْهِ .»

وَكانَ النّابُ الأَبْيَضُ غالِبًا ما يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَكانَ هذا مِنْهُ بِمَثابَةِ الكَلِمَةِ الأخيرَةِ ؛ إذْ كانَ رَأْسُهُ هُوَ الشَّيْءَ الوَحيدَ الَّذي يَحْفَظُهُ بِعِنايَةٍ فائِقَةٍ ، فَهُوَ لا يُحِبُّ أنْ يَلْمِسَهُ أحَدٌ ، غَيْرَ أنَّهُ الآنَ يَضَعُ نَفْسَهُ في حالَةِ اسْتِسْلامٍ وَثِقَةٍ كامِلَةٍ ، وَلِسانُ حالِهِ يَقولُ : « إنَّني أَضَعُ نَفْسي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَافْعَلْ بي ما تَشاءُ .»

وَفي إحْدى اللَّيالي كانَ سكوت وَمات يَلْعَبانِ الوَرَقَ قَبْلَ النَّوْمِ ، فَسَمِعا صِياحًا وَزَمْجَرَةً عَنيفَةً في الخارِجِ ، أعْقَبَتْهُما صَرْخَةُ أَلَمٍ وَخَوْفٍ وَحْشِيَّةٌ . وَهَرِعَ سكوت إلى الخارِجِ يَتْبَعُهُ مات حامِلاً مِصْباحًا ، فَشاهَدا رَجُلاً مُمَدَّدًا عَلى الجَليدِ ، وَذِراعاهُ تُغَطِّيانِ وَجْهَهُ وَرَقَبَتَهُ ، في مُحاوَلَةٍ لإنْقاذِ نَفْسِهِ مِنْ أنْيابِ النّابِ الأَبْيَضِ .

كانَتِ الضَّرورَةُ تُحَتِّمُ ذَلِكَ ؛ فَالنّابُ الأَبْيَضُ كانَ يُهاجِمُ في شَراسَةٍ وَغَضَبٍ وَحْشِيٍّ . وَقَدْ تَمَزَّقَتْ سُتْرَةُ الرَّجُلِ إرْبًا إرْبًا ، كَما تَضَرَّجَتْ ذِراعاهُ بِالدَّمِ .

جَذَبَ سكوت النّابَ الأَبْيَضَ بَعيداً ، عَلى حينَ ساعَدَ مات الرَّجُلَ كَيْ يَقِفَ عَلى قَدَمَيْهِ . وَعِنْدَما انْتَصَبَ واقِفاً خَفَضَ ذِراعَيْهِ فَلاحَ وَجْهُ بيوتي سميث الوَحْشِيُّ ، وَ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلى النّابِ الأَبْيَضِ ، فارْتَسَمَ الفَزَعُ في عَيْنَيْهِ .

رَأى مات شَيْئَيْنِ يَرْقُدانِ عَلى الجَليدِ ؛ هِراوَةً ضَخْمَةً وَسِلْسِلَةً ، فَأشارَ إلَيْهِما بِقَدَمِهِ وَرَآهُما سكوت وَلَمْ يُعَقِّبْ بِشَيْءٍ . وَ وَضَعَ مات يَدَهُ عَلى كَتِفِ بيوتي سميث وَأَدارَهُ . لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حاجَةٌ إلى جِدالٍ ؛ إذْ أَخَذَ بيوتي سميث يَعْدو هارِباً .

كانَ سكوت يُرَبِّتُ عَلى النّابِ الأَبْيَضِ وَهُوَ يُناغيهِ قائِلاً : « لَقَدْ حاوَلَ أنْ يَسْرِقَكَ ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنَّهُ أخْطَأَ وَلَقِيَ جَزاءَهُ .»

أخَذَ النّابُ الأَبْيَضُ يُزَمْجِرُ وَيُزَمْجِرُ ، ثُمَّ رَقَدَ شَعْرُ ظَهْرِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَما كانَ قَبْلَ أنْ يَثورَ ، وَعادَتْ نَغْمَةُ الحُبِّ بِبُطْءٍ إلى صَوْتِهِ .

الفصل السادس عشر
هَلْ سَيَتَخلى عَنْهُ سَيِّدُه ؟

عَرَفَ النّابُ الأبْيَضُ أنَّ تَغْيِيراً ما سَوْفَ يَحْدُثُ . لَقَدِ اسْتَطاعَ بِطَرِيقَةٍ ما أنْ يَعْرِفَ ما يُفكِّرانِ فيهِ .

قالَ مات : « أنْصِتْ إلى ذَلِكَ الصَّوْتِ !»

سَمِعَ سكوت صَوْتًا حَزِينًا قَلِقًا يُشْبِهُ صُراخَ الطِّفْلِ تَقْرِيباً ، يَصِلُ إلَيْهِما مِنْ خِلالِ البابِ ، ثُمَّ سَمِعا النّابَ الأبْيَضَ يَنْهَضُ وَيَتَشَمَّمُ عِنْدَ البابِ ؛ لِكَيْ يَتَأكَّدَ أنْ سَيِّدَهُ لا يَزالُ بِالدّاخِلِ .

قالَ مات : « إنَّهُ يَعْرِفُ !»

قالَ سكوت : « وَلَكِنْ ماذا عَسايَ أنْ أفْعَلَ بِذِئْبٍ في كاليفورْنيا ؟ سَوْفَ يَقْتُلُ جَميعَ الكِلابِ الأليفَةِ هُناكَ ، وَسَوْفَ أكونُ مُضْطَرا لِتَعْوِيضِهِمْ ، وَفي النِّهايَةِ سَوْفَ تُطْلِقُ عَلَيْهِ الشُّرْطَةُ

الرَّصاصَ وَتَقْتُلُهُ !»

قالَ مات : « عَلَيْكَ أنْ تَسْتَأجِرَ رَجُلاً خاصا ، لِيَقومَ عَلى رِعايَتِهِ .»

وَبَعْدَ فَتْرَةِ سُكونٍ سَمِعا ذَلِكَ الصَّوْتَ الواهِنَ الحَزِينَ مَرَّةً أخْرى خارِجَ البابِ .

قالَ سكوت : « مات ! لا أدري ماذا أفْعَلُ ؟ لَيْسَ بِوُسْعي أنْ أقَرِّرَ شَيْئًا . وَلَكِنْ مِنَ الجُنونِ أنْ أصْطَحِبَ هذا الكَلْبَ مَعي .»

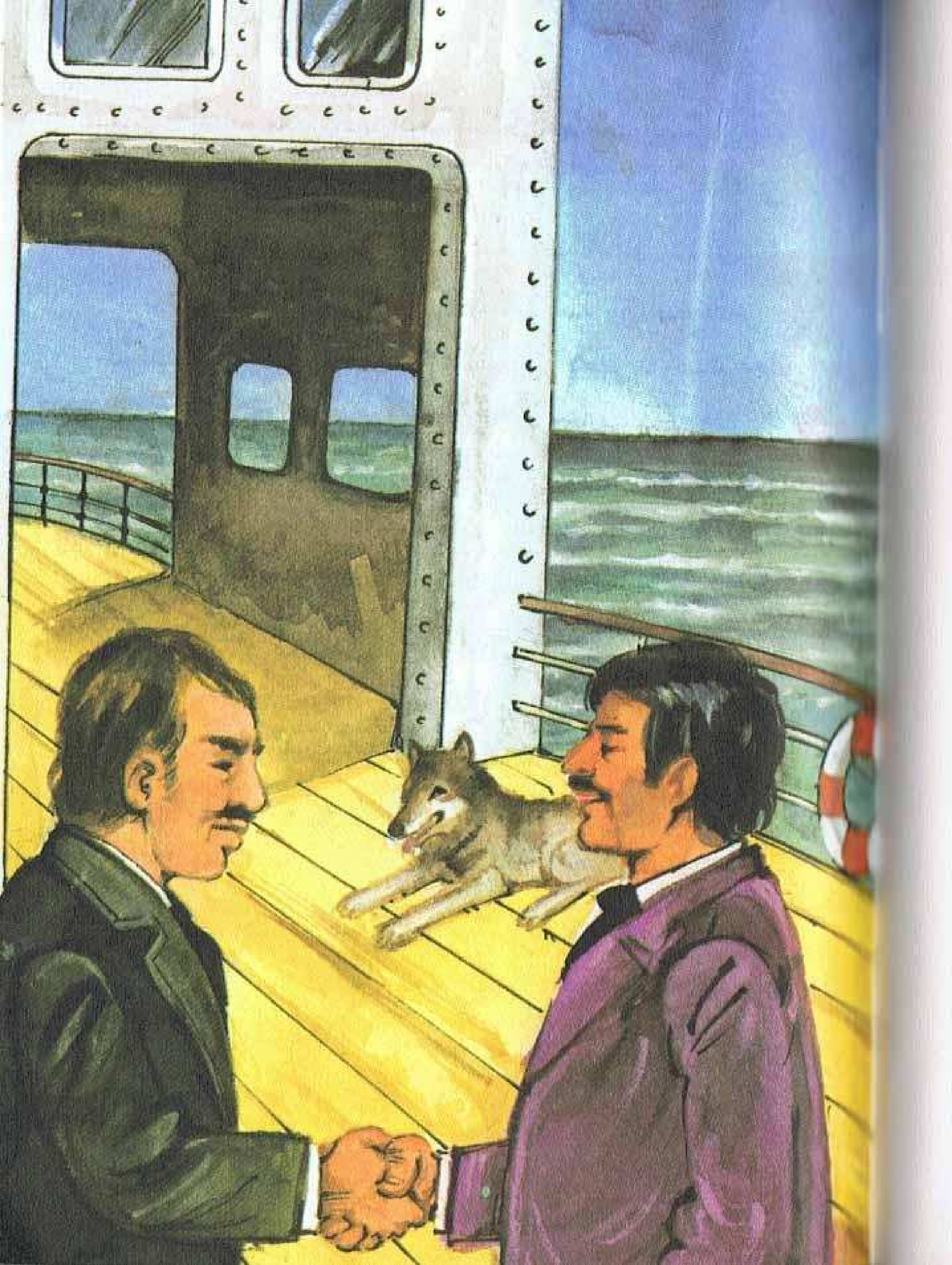
قالَ مات : « نَعَمْ ! إنّي أوافِقُكَ .»

وَأتى اليَوْمُ الَّذي رَأى فيهِ النّابُ الأبْيَضُ الحَقيبَةَ عَلى أرْضِيَّةِ الغُرْفَةِ ، وَمُعَلِّمُ الحُبِّ يَضَعُ أشْياءَ بِداخِلِها .

الآنَ عَرَفَ النّابُ الأبْيَضُ أنَّ سَيِّدَهُ سَيَرْحَلُ مَرَّةً أخْرى وَيَتْرُكُهُ .

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَفَعَ وَجْهَهُ نَحْوَ النُّجومِ ، وَأطْلَقَ صَرْخَةَ الذِّئْبِ الَّتي أطْلَقَها عِنْدَما عادَ إلى القَرْيَةِ ، وَلَمْ يَجِدْ بِها خَيْمَةَ القُنْدُسِ الأشْهَبِ .

قالَ مات : « لَقَدْ أضْرَبَ عَنِ الطَّعامِ مَرَّةً أخْرى . إنَّهُ لَنْ يَذوقَ شَيْئًا ، وَإذا ظَلَّ عَلى حالِهِ هَذِهِ فَلَنْ أسْتَبْعِدَ أنْ أراهُ مَيِّتًا .»



وَفي اليَوْمِ التّالي صارَ النّابُ الأبْيَضُ أشَدَّ قَلَقاً . وَأصْبَحَ يُلازِمُ سَيِّدَهُ كَظِلِّهِ عِنْدَما يُغادِرُ المَنْزِلَ ، وَيَظَلُّ قابِعاً على عَتَبَةِ البَيْتِ عِنْدَما يَكونُ بِالدّاخِلِ . وَعلى أرْضِ الغُرْفَةِ كانَتْ ثَمَّةَ حَقيبَتانِ أخْرَيانِ ، بَيْنَما أخَذَ مات يُرَتِّبُ فِراشَ السَّيِّدِ .

وَأقْبَلَ هِنْدِيّانِ ، وَأخَذا الحَقائِبَ وَهَبَطا التَّلَّ يَتْبَعُهما مات ، ثُمَّ عادَ مات وَراحَ سكوت إلى النّابِ الأبْيَضِ ، وَاصْطَحَبَهُ إلى الدّاخِلِ ثُم حادَثَهُ بِرِفْقٍ وَهُوَ يَفْرُكُ أذُنَيْهِ : « أيُّها الشَّيْطانُ المِسْكينُ ، سَأرْحَلُ بَعيداً حَيْثُ لا يُمْكِنُكَ أنْ تَتْبَعَني . هَيّا ! زَمْجِرْ كَيْ تُوَدِّعَني .»

وَلكِنَّ النّابَ الأبْيَضَ لَمْ يُزَمْجِرْ بَلْ نَظَرَ إلَيْهِ نَظْرَةً طَويلَةً مُتَفَحِّصَةً ، ثُمَّ دَفَنَ رَأسَهُ بَيْنَ ذِراعَيْ سَيِّدِهِ وَجِسْمِهِ .

قالَ مات : « لَقَدْ حانَ وَقْتُ الرَّحيلِ ، وَعَلَيْكَ إغْلاقُ البابِ الأمامِيِّ ، وَسَأخْرُجُ أنا مِنَ الخَلْفِ .»

قالَ سكوت : « عَلَيْكَ أنْ تُعْنى بِهِ جَيِّداً ، يا مات ، وَطَمْئِنّي عَنْ أحْوالِهِ .»

قالَ مات : « طَبْعاً ، وَلكِنْ أنْصِتْ إلى ذَلِكَ الصَّوْتِ !»

سَمعَ كِلاهُما الصَّرْخَةَ الّتي يُطْلِقُها الكَلْبُ عِنْدَ مَوْتِ سَيِّدِهِ ، صَرْخَةَ قَلْبٍ كَسيرٍ عَميقَةً تَتَفَجَّرُ حُزْناً . وَصَعِدا إلى السَّفينَةِ وَكانَ

سكوت يُصافحُ مات مُودِّعًا ؛ وَفَجْأَةً سَقَطَتْ يَدُ مات وَتَسَمَّرَتْ عَيْناهُ
عَلى شَيْءٍ ما خَلْفَ سكوت ؛ كانَ النّابُ الأَبْيَضُ يَجْلِسُ هُناكَ في
السَّفينَةِ .

حاوَلَ مات أَنْ يُمْسِكَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَعْدو بَيْنَ أَقْدامِ النّاسِ ،
ثُمَّ ناداه سَيِّدُهُ مُعَلِّمُ الحُبِّ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النّابُ الأَبْيَضُ . وَعِنْدَئِذٍ أَخَذَ
سكوت يُرَبِّتُ عَلى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فَرَأى جُروحًا في وَجْهِهِ فَقالَ :
« لَقَدْ أَغْلَقْنا الأَبْوابَ لَكِنَّنا نَسينا النّافِذَةَ . لَقَدْ قَفَزَ خِلالَ الزُّجاجِ
فَجَرَحَ نَفْسَهُ . حَسَنٌ ، وَداعًا يا مات . أَمّا عَنِ الذِّئْبِ فَلَنْ تَكونَ
بِكَ حاجَةٌ إِلى الكِتابَةِ عَنْهُ ، بَلْ أَنا الَّذي سَأَكْتُبُ إِلَيْكَ عَنْهُ ! »
وَتَحَرَّكَتِ السَّفينَةُ ، فَلَوَّحَ سكوت بِيَدِهِ لآخِرِ مَرَّةٍ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى
النّابِ الأَبْيَضِ الَّذي يَقِفُ إِلى جِوارِهِ ، وَانْحَنى عَلَيْهِ قائِلاً وَهُوَ
يُرَبِّتُ عَلى رَأْسِهِ وَيَفْرُكُ أُذُنَيْهِ : « وَالآنَ زَمْجِرْ ! هَيّا زَمْجِرْ ! »

الفصل السابع عشر

أَرْضُ الجنوب

وَصَلَتِ السَّفينَةُ إِلى سان فَرَنْسيسْكو ، وَهَبَطَ النّابُ الأَبْيَضُ إِلى
اليابِسَةِ . وَكانَ قَدْ رَأى في الشَّمالِ بُيوتًا خَشَبِيَّةً صَغيرَةً مُنْخَفِضَةً ،
أَمّا هُنا فَالأَبْنِيَةُ ضَخْمَةٌ كَالأَبْراجِ تَكادُ تَصِلُ إِلى السَّماءِ ،
وَالشَّوارِعُ تَكْتَظُّ بِالسَّيّاراتِ ، وَالضَّجيجُ مُرَوِّعٌ بَعْدَ سُكونِ الغاباتِ .
كانَ خائِفًا ، فَعِنْدَما أَتى إِلى قَرْيَةِ القُنْدُسِ الأَشْهَبِ ، وَهُوَ بَعْدُ جَرْوٌ
صَغيرٌ ، كانَ يَشْعُرُ بِالضَّآلَةِ ، وَالآنَ وَهُوَ كامِلُ النُّمُوِّ يَشْعُرُ في هَذا
المَكانِ بِأَنَّهُ أَكْثَرُ ضَآلَةً ، كَما أَنَّ المَكانَ بِهِ كَثيرٌ مِنَ السّادَةِ .

لَقَدْ وَضَعوهُ في ذَلِكَ الجُزْءِ مِنَ القِطارِ الَّذي تُحْفَظُ فيهِ
الصَّناديقُ وَالحَقائِبُ . وَتَوَلّى رَجُلٌ جَسيمٌ سَحْبَ الصَّناديقِ
وَالحَقائِبِ إِلى الدّاخِلِ مِنْ خِلالِ البابِ ، وَكانَ يَقْذِفُ بَعْضَها إِلى
الخارِجِ . وَجَلَسَ النّابُ الأَبْيَضُ هُناكَ إِلى جِوارِ الحَقائِبِ لِيَحْرُسَها

بَعْدَ أَنْ تَشَمَّمَها ، حَتّى عادَ سَيِّدُهُ بَعْدَ نَحْوِ السّاعَةِ ، فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ الجَسيمُ : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعاً بِعَوْدَتِكَ ، فَإِنَّ هَذا الكَلْبَ لَمْ يَدَعْ لي فُرْصَةً لِلَمْسِ حَقائِبِكَ .»

عِنْدَما تَوَقَّفَ القِطارُ وَجَدَ النّابُ الأَبْيَضُ نَفْسَهُ في الرّيفِ حَيْثُ الشَّمْسُ السّاطِعَةُ وَالهُدوءُ . وَكانَتْ إِحْدى العَرَباتِ تَنْتَظِرُ ، وَخَرَجَ مِنْها رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ ، وَطَوَّقَتِ المَرْأَةُ بِذِراعَيْها رَقَبَةَ سكوت . وَفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ قَفَزَ سكوت بَعيداً عَنْ أُمِّهِ ، وَالْتَصَقَ بِالنّابِ الأَبْيَض الَّذي تَحَوَّلَ إِلى شَيْطانٍ شَرِسٍ .

قالَ سكوت : « لا تَهْتَمّي ، يا أُمّاهُ ! لَقَدْ ظَنَّ أَنَّكِ سَتُؤْذينَني ، لَكِنَّهُ سَوْفَ يَتَعَلَّمُ سَريعاً .» ثُمَّ قالَ لِلْكَلْبِ : « الْزَمِ الهُدوءَ ! » وَفَتَحَ ذِراعَيْهِ لِأُمِّهِ ، وَلَكِنَّ عَيْنَيْهِ ظَلَّتا مُثَبَّتَتَيْنِ عَلى النّابِ الأَبْيَض . وَانْطَلَقَتِ العَرَبَةُ بَعيداً وَالنّابُ الأَبْيَضُ يَعْدو خَلْفَها . وَبَعْدَ رُبْعِ السّاعَةِ مَرَّتِ العَرَبَةُ خِلالَ بَوّابَةٍ بَيْنَ صَفَّيْنِ طَويلَيْنِ مِنَ الأَشْجارِ ، وَما إِنْ دَخَلَ النّابُ الأَبْيَضُ المَكانَ حَتّى هاجَمَتْهُ كَلْبَةٌ كَبيرَةٌ مِنْ كِلابِ الحِراسَةِ ، وَرَأى النّابُ الأَبْيَضُ العَرَبَةَ تَأْخُذُ سَيِّدَهُ بَعيداً ، فَأَخَذَ يَعْدو بَعيداً عَنِ الكَلْبَةِ ، وَلَكِنَّها تَبِعَتْهُ . وَفَجْأَةً تَحَوَّلَ إِلَيْها وَضَرَبَها بِكَتِفِهِ ، فَأَخَذَتْ تَتَدَحْرَجُ عَلى الأَرْضِ .

وَجَرى النّابُ الأَبْيَضُ بِسُرْعَةٍ تَتْبَعُهُ كَلْبَةُ الحِراسَةِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ

أَسْرَعَ مِنْها . وَتَوَقَّفَتِ العَرَبَةُ عِنْدَ بابِ البَيْتِ ، وَتَرَجَّلَ السَّيِّدُ .

وَفَجْأَةً انْدَفَعَ نَحْوَهُ كَلْبٌ يُدْعى دِك وَضَرَبَهُ عَلى جَنْبِهِ ، فَانْقَضَّ عَلَيْهِ النّابُ الأَبْيَضُ وَلَكِنَّ أَسْنانَهُ كادَتْ تَقْبِضُ عَلى رَقَبَةِ دِك ، فَأَسْرَعَ نَحْوَهُما السَّيِّدُ ، وَلَكِنَّهُ كانَ عَلى مَسافَةٍ بَعيدَةٍ . وَقَدْ أَنْقَذَتْ كَلْبَةُ الحِراسَةِ حَياةَ دِك ، عِنْدَما قَفَزَتْ عَلى النّابِ الأَبْيَضِ .

وَأَسْرَعَ سكوت إِلَيْها فَأَمْسَكَ النّابَ الأَبْيَضَ بِإِحْدى يَدَيْهِ عَلى حينَ أَبْعَدَ أَبوهُ الكَلْبَيْنِ الآخَرَيْنِ .

قالَ سكوت : « تَعالَ أَيُّها الذِّئْبُ . عَلَيْكَ أَنْ تَبْقى داخِلَ المَنْزِلِ عَلى حينِ تَظَلُّ الكِلابُ خارِجَهُ .» فَدَخَلَ النّابُ الأَبْيَضُ وَرَقَدَ عِنْدَ قَدَمَيْ سَيِّدِهِ .

الفصل الثامن عشر

بَيْتُ السَّيِّد

كانَ لِسكوت أبٌ هُوَ القاضي سكوت ، وَزَوْجَةٌ هِيَ أليس ، وَطِفْلانِ أحَدُهُما في السّادِسَةِ وَالآخَرُ في الرّابِعَةِ ، وَشَقيقَتانِ هُما بِثْ وَماري . وَكانَ النّابُ الأبْيَضُ يُعامِلُهُمْ جَميعًا كَمُمْتَلَكاتٍ لِسَيِّدِهِ ، مِثْلَما كانَتْ زَوْجَةُ القُنْدُسِ الأشْهَبِ وَأوْلادُهُ مُمْتَلَكاتٍ لِلْقُنْدُسِ .

لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ الأطْفالَ ؛ فَقَدْ كانوا في القَرْيَةِ الهِنْدِيَّةِ يُعامِلونَهُ بِقَسْوَةٍ عِنْدَما كانَ جَرْوًا . وَلَكِنَّهُ كانَ يَسْمَحُ لأطْفالِ سَيِّدِهِ بِأنْ يُرَبِّتوا عَلَيْهِ وَيَلْعَبوا مَعَهُ . وَعِنْدَما كانوا يَشْتَدّونَ في مُداعَبَتِهِ ، كانَ يَنْهَضُ مُبْتَعِدًا . أمّا خارِجَ البَيْتِ فَقَدْ تَعَلَّمَ الكَثيرَ ؛ فَفي أرْضِ الشَّمالِ كانَتْ كُلُّ الحَيَواناتِ بَرِّيَّةً فيما عَدا الكِلابَ ، وَكانَ النّابُ الأبْيَضُ يَصيدُها لِيَأكُلَها . وَذاتَ مَرَّةٍ عِنْدَما كانَ يَدورُ حَوْلَ المَنْزِلِ

في الصَّباحِ الباكِرِ ، رَأى دَجاجَةً هَرَبَتْ مِنَ الفِناءِ فَأكَلَها . وَفي وَقْتٍ لاحِقٍ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ رَأى دَجاجَةً أخْرى ، فَانْدَفَعَ نَحْوَهُ أحَدُ الخَدَمِ لِيُنْقِذَها وَكانَتْ مَعَهُ عَصًا خَفيفَةٌ . وَما إنْ ضَرَبَ بِها النّابَ الأبْيَضَ حَتّى قَفَزَ عَلى رَقَبَتِهِ ، فَأنْقَذَتْهُ كَلْبَةُ الحِراسَةِ ؛ إذِ انْدَفَعَتْ نَحْوَ النّابِ الأبْيَضِ فَهَرَبَ الخادِمُ . وَأرادَ النّابُ الأبْيَضُ أنْ يَتَفادى أنْيابَ كَلْبَةِ الحِراسَةِ الحادَّةَ . وَلَكِنَّها ظَلَّتْ تُهاجِمُهُ ، فَلَمْ يَقْوَ عَلى مُهاجَمَتِها ؛ حَيْثُ إنَّ قانونَ الغابِ لا يَسْمَحُ لَهُ بِقِتالِ أنْثى الذِّئْبِ أوِ الكَلْبِ .

قالَ سكوت : « سَأنْتَظِرُ حَتّى أمْسِكَ بِهِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَأعَلِّمُهُ أنْ يَتْرُكَ هَذِهِ الطُّيورَ وَشَأنَها . »

وَذاتَ صَباحٍ أمْسَكَ سكوت بِالنّابِ الأبْيَضِ . وَكانَ أحَدُ الخَدَمِ قَدْ وَضَعَ خَمْسينَ دَجاجَةً مَيِّتَةً أمامَ البابِ . وَكانَ النّابُ الأبْيَضُ يَبْدو مُعْتَزًا بِنَفْسِهِ . فَتَحَدَّثَ إلَيْهِ سكوت ، وَأمْسَكَ بِأنْفِهِ وَقَرَّبَهُ مِنَ الطُّيورِ المَيِّتَةِ ثُمَّ انْهالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا . وَمُنْذُ ذَلِكَ الحينِ لَمْ يُهاجِمِ النّابُ الأبْيَضُ الدَّجاجَ مَرَّةً أخْرى .

وَقَدْ تَعَلَّمَ ألا يُهاجِمَ القِطَطَ أوِ الأرانِبَ ، وَأنْ يَتْرُكَ جَميعَ الكائِناتِ الحَيَّةِ وَشَأنَها . وَحَدَثَ أنْ أطْلَقَ رَجُلٌ أحْمَقُ مِنْ سُكّانِ المَدينَةِ سَراحَ كِلابِهِ الثَّلاثَةِ كَيْ تُهاجِمَ النّابَ الأبْيَضَ ؛ فَحَثَّهُ سكوت وَهُوَ يُطْلِقُهُ قائِلاً : « عَلَيْكَ بِها ! » وَبَعْدَ دَقائِقَ قَليلَةٍ قَتَلَ

أَحَدَ الكِلابِ ، وَهَرَبَ الكَلْبانِ الآخَرانِ إِلى الحُقولِ المُجاوِرَةِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَتْ كِلابُ المَدينَةِ النّابَ الأَبْيَضَ وَشَأْنَهُ .

شَيْءٌ واحِدٌ كانَ يُنَغِّصُ عَلَيْهِ حَياتَهُ ، وهو كَلْبَةُ الحِراسَةِ ، فَهِيَ لَمْ تَكُنْ تَدَعُهُ يَنْعَمُ بِالهُدوءِ ، حَتّى إِنَّها كانَتْ تُزَمْجِرُ إِذا ما نَظَرَ إِلى أَيِّ طائِرٍ . كانَتْ مِثْلَ رَجُلِ الشُّرْطَةِ الَّذي يَتْبَعُهُ كَظِلِّهِ في كُلِّ مَكانٍ ، فَلَمْ يَكُنْ يَجِدُ الدَّعَةَ إِلّا حينَ يَرْقُدُ مُتَظاهِراً بِالنَّوْمِ .

كانَ السَّيِّدُ يَخْرُجُ كَثيراً عَلى صَهْوَةِ جَوادِهِ ، وَبِصُحْبَتِهِ النّابُ الأَبْيَضُ ، الَّذي لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالكَلَلِ حَتّى لَوْ ظَلَّ سائِراً طَوالَ النَّهارِ . وَذاتَ يَوْمٍ كانَ سكوت يَرْكَبُ جَوادَهُ عَبْرَ الحُقولِ حينَ ظَهَرَ فَجْأَةً أَرْنَبٌ بَرِّيٌّ تَحْتَ أَرْجُلِ الحِصانِ ، فَأَجْفَلَ الحِصانُ وَأَوْقَعَ راكِبَهُ فَكُسِرَتْ ساقُهُ . وَبَلَغَ الغَضَبُ بِالنّابِ الأَبْيَض حَدا جَعَلَهُ يَقْفِزُ لِيُطْبِقَ عَلى رَقَبَةِ الحِصانِ ، فَصاحَ سكوت : « دَعْهُ ! دَعْهُ !» ثُمَّ تَحَسَّسَ ساقَهُ فَاكْتَشَفَ ما حَدَثَ ، وَبَحَثَ في جَيْبِهِ عَنْ وَرَقَةٍ وَقَلَمٍ ولكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ ، فَقالَ لِلنّابِ الأَبْيَضِ : « اذْهَبْ إِلى البَيْتِ . اذْهَبْ وَأَخْبِرْهُمْ بِما وَقَعَ لي .» كانَ النّابُ الأَبْيَضُ يَعْرِفُ مَعْنى كَلِمَةِ « بَيْت » ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُريدُ أَنْ يَتْرُكَ سَيِّدَهُ وَحْدَهُ .

رَدَّدَ سكوت : « اذْهَبْ إِلى البَيْتِ !» وَفي هذِهِ المَرَّةِ أَطاعَهُ .

كانَتِ الأُسْرَةُ كُلُّها تَجْلِسُ خارِجَ البَيْتِ لِلاسْتِمْتاعِ بِنَسيمِ

المَساءِ العَليلِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ النّابُ الأَبْيَضُ لاهِثاً يُغَطّيهِ التُّرابُ . وَهُرِعَ الأَطْفالُ لاسْتِقْبالِهِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَأْبَهْ بِهِمْ ، فَحاصَروهُ في رُكْنِ البَيْتِ وَلكِنَّهُ أَخَذَ يُزَمْجِرُ ، مُحاوِلاً شَقَّ طَريقِهِ بَيْنَهُمْ . وَقالَتْ والِدَةُ سكوت بِقَلَقٍ : « إِنَّني خائِفَةٌ عَلى الأَطْفالِ مِنْهُ ، وَأَخْشى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِمْ يَوْماً ما .» وَفي النِّهايَةِ اسْتَطاعَ النّابُ الأَبْيَضُ أَنْ يَقْفِزَ خارِجاً مِنَ الرُّكْنِ ، وَهُوَ يُزَمْجِرُ ، فَأَوْقَعَ الوَلَدَ والبِنْتَ .

قالَ القاضي سكوت : « الذِّئْبُ ذِئْبٌ ، لا يُمْكِنُ أَنْ تَثِقَ بِهِ !»

قالَتْ بِثْ شَقيقَةُ سكوت : « وَلكِنَّهُ لَيْسَ ذِئْباً .»

قالَ : « هَذا ما يَظُنُّهُ ابْني ، وَلكِن ...» وَلَمْ يُكْمِلْ ما أَرادَ أَنْ يَقولَ ، فَقَدْ وَقَفَ النّابُ الأَبْيَضُ أَمامَهُ يُزَمْجِرُ ، فَقالَ لَهُ : « إِلَيْكَ عَنّي ! ارْقُدْ عَلى الأَرْضِ !»

فَالْتَفَتَ النّابُ الأَبْيَضُ إِلى والِدَةِ سكوت وَأَمْسَكَ ثَوْبَها بِأَسْنانِهِ وَجَذَبَهُ . لَمْ يَعُدْ يُزَمْجِرُ الآنَ ، بَلْ وَقَفَ وَرَأْسُهُ مُنْتَصِبٌ يَنْظُرُ في وُجوهِهِمْ . كانَتْ حَنْجَرَتُهُ تَتَحَرَّكُ ، وَلكِنْ دونَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْها صَوْتٌ . وَقَدْ بَذَلَ كُلَّ جَهْدِهِ لِتَوْصيلِ الرِّسالَةِ .

قالَتْ والِدَةُ سكوت : « أَرْجو أَلا يَكونَ قَدْ بَلَغَ حَدَّ الجُنونِ .»

قالَتْ بِثْ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُحاوِلُ أَنْ يَنْطِقَ بِشَيْءٍ .»

قالَتْ أَليس زَوْجَةُ سكوت : « لا بُدَّ أَنَّ شَيْئاً ما قَدْ حَدَثَ .»

عِنْدَئِذٍ وَقَفَ الجميعُ ، وَهَبَطَ النّابُ الأَبْيَضُ الدَّرَجَ عَدْواً ، وَنَظَرَ خَلْفَهُ نَحْوَهُمْ لِيَتْبَعوهُ . بَعْدَ هذا الحادِثِ صارَ لَهُ مَكانٌ عَزيزٌ في قُلوبِ عائِلَةِ سكوت . حَتّى الخادِمُ الَّذي عَقَرَ يَدَهُ قالَ عَنْهُ : « إِنَّهُ كَلْبٌ فَطِنٌ ، حَتّى لَوْ كانَ ذِئْباً .»

أَصْبَحَتِ الأَيّامُ قَصيرَةً ، فَقَدْ كانَ الشِّتاءُ عَلى الأَبْوابِ ، وَكانَ ثاني شِتاءٍ لِلنّابِ الأَبْيَضِ في أَرْضِ الجَنوبِ ، وَقَدِ اتَّضَحَ لَهُ أَنَّ أَنْيابَ كَلْبَةِ الحِراسَةِ لَيْسَتْ حادَّةً كَما كانَ يَظُنُّ ، فَقَدْ عَضَّتْهُ عَضَّةً لَطيفَةً عَلى سَبيلِ المُداعَبَةِ . كانَتْ رَقيقَةً وَلَمْ تُصِبْهُ بِأَذًى ، وَفي لَحْظَةٍ واحِدَةٍ نَسِيَ ما كابَدَهُ مِنْها طَوالَ الفَتْرَةِ الماضِيَةِ ، وَحاوَلَ أَنْ يَلْعَبَ مَعَها بِطَريقَةٍ رَزينَةٍ بَدَتْ مُضْحِكَةً إِلى حَدٍّ ما .

وَذاتَ يَوْمٍ قادَتْهُ خِلالَ الحُقولِ إِلى الأَحْراشِ ، وَكانَ يَعْلَمُ أَنَّ سَيِّدَهُ يَعْتَزِمُ الخُروجَ عَلى ظَهْرِ حِصانِهِ في ذَلِكَ اليَوْمِ ، حَيْثُ كانَ الحِصانُ مُسَرَّجاً عِنْدَ البابِ . وَلَكِنْ كانَ ثَمَّةَ شَيْءٌ في دَخيلَةِ النّابِ الأَبْيَضِ – شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْ حُبِّهِ لِسَيِّدِهِ . لَقَدْ عَضَّتْهُ الكَلْبَةُ بِرِفْقٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَجْري فَتَتَبَّعَها . وَرَكِبَ السَّيِّدُ وَحْدَهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ ، أَمّا النّابُ الأَبْيَضُ فَقَدْ جَرى جَنْباً إِلى جَنْبٍ مَعَ كَلْبَةِ الحِراسَةِ في الغابَةِ ، تَماماً مِثْلَما كانَتْ كيشي أُمُّهُ والذِّئْبُ الأَعْوَرُ يَفْعَلانِ مُنْذُ سَنَواتٍ بَعيدَةٍ ، في الغابَةِ الصّامِتَةِ في أَرْضِ الشَّمالِ .

الفصل التاسع عشر

السَّجينُ الهارِب

كانَتِ الصُّحُفُ مَلأى بِأَخْبارِ هَرَبِ سَجينٍ يُدْعى جيم هول مِنْ سِجْنِ سانْت كوينْتين . وَكانَ مُجْرِماً خَطيراً وَ وَحْشاً كاسِراً أَكْثَرَ مِنْهُ إِنْساناً . وَكانَ شَرِساً ؛ فَقَدْ وَثَبَ مَرَّةً عَلى أَحَدِ حُرّاسِ السِّجْنِ ، وَأَنْشَبَ أَسْنانَهُ في رَقَبَتِهِ مِثْلَما يَفْعَلُ أَيُّ حَيَوانٍ مُفْتَرِسٍ .

بَعْدَ ذَلِكَ حُبِسَ في سِجْنٍ انْفِرادِيٍّ ثَلاثَ سَنَواتٍ لَمْ يَرَ فيها أَحَداً وَلَمْ يَتَحَدَّثْ إِلى أَيِّ مَخْلوقٍ . كانَ يَكْرَهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَ وَصَلَ بِهِ كُرْهُهُ إِلى حَدِّ الجُنونِ . وَذاتَ لَيْلَةٍ تَمَكَّنَ مِنَ الهَرَبِ ، وَقَدْ عَثَروا عَلى جُثَثِ ثَلاثَةٍ مِنْ حُرّاسِ السِّجْنِ ، كانَ قَدْ صادَفَهُمْ في طَريقِهِ إِلى السّورِ الخارِجِيِّ ، فاسْتَوْلى عَلى أَسْلِحَتِهِمْ وَقَضى عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ رُصِدَتْ مُكافَأَةٌ كَبيرَةٌ لِمَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ . وَتَبِعَتْهُ الكِلابُ الَّتي أَخَذَتْ تَتَشَمَّمُ أَثَرَ الدِّماءِ الَّتي نَزَفَتْ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَأَحْياناً

ما كانوا يجدونَهُ فتدورُ معْرَكَةٌ بَيْنَ الرِّجالِ وَبَيْنَهُ ، يَسْقُطُ خِلالَها بَعْضُ القَتْلى أوِ الجَرْحى ، ثُمَّ يَخْتَفي جيم هول . وَكانَ القاضي سكوت هُوَ الّذي حَكَمَ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ . وَكانَ جيم هول يُرَدِّدُ : « سَوْفَ يُطْلَقُ سَراحي في يَوْمٍ ما ، وَعِنْدَها سَوْفَ أَقْتُلُ القاضِيَ .»

لَمْ يَكُنِ النّابُ الأَبْيَضُ كَلْبًا مَنْزِلِيا ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ يَنامُ في البَيْتِ ، وَلكِنْ مُنْذُ هَرَبِ جيم هول وَأليس زَوْجَةُ القاضي تَنْتَظِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتّى يَنامَ الجَميعُ ، ثُمَّ تُدْخِلُ النّابَ الأَبْيَضَ لِيَنامَ في الرَّدْهَةِ ، وَتُخْرِجُهُ في الصَّباحِ الباكِرِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أيُّ فَرْدٍ مِنَ الأسْرَةِ .

وذاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَما أَخْلَدَ كُلُّ فَرْدٍ في المَنْزِلِ لِلنَّوْمِ ، اسْتَيْقَظَ النّابُ الأَبْيَضُ ، وَرَقَدَ في الرَّدْهَةِ في هُدوءٍ تامٍّ . وَكانَ يَتَشَمَّمُ الهَواءَ ، فَأَحَسَّ أَنْ شَخْصًا غَريبًا في المَنْزِلِ . ثُمَّ سَمِعَ تَحَرُّكاتِ الرَّجُلِ المُتَسَلِّلِ فَتَبِعَهُ في سُكونٍ .

تَنصَّتَ الرَّجُلُ هُنَيْهَةً أَسْفَلَ الدَّرَجِ ، وَانْتَظَرَ النّابُ الأَبْيَضُ ، وَحينَ هَمَّ الرَّجُلُ بِرَفْعِ قَدَمِهِ لِيَبْدَأَ صُعودَ الدَّرَجِ ، كانَ النّابُ الأَبْيَضُ مُعْتَلِيًا ظَهْرَهُ ، وَأَرْجُلُهُ عَلى كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ غَرَسَ أَنْيابَهُ في قَفاهُ وَسَقَطا مَعًا عَلى الأَرْضِ ، فَقَفَزَ النّابُ الأَبْيَضُ بَعيدًا . وَبَيْنَما كانَ الرَّجُلُ يُجاهِدُ لِيَقِفَ عَلى قَدَمَيْهِ هاجَمَهُ النّابُ الأَبْيَضُ ثانِيَةً .

اسْتَيْقَظَ كُلُّ فَرْدٍ في المَنْزِلِ عَلى أَثَرِ هَذِهِ الضَّجَّةِ الَّتي حَدَثَتْ في

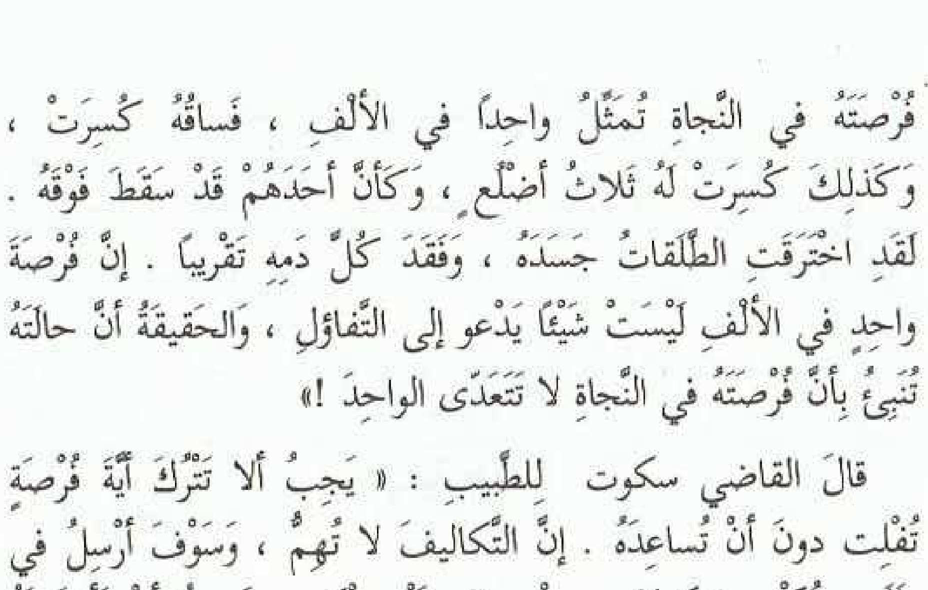
الطّابَقِ السُّفْلِيِّ إذْ خُيِّلَ لَهُمْ وَكَأَنَّ مَعْرَكَةً شَرِسَةً تَدورُ بَيْنَ الشَّياطينِ . وَانْطَلَقَتْ رَصاصاتُ مُسَدَّسٍ ، فَصاحَ الرَّجُلُ مِنَ الأَلَمِ وَالفَزَعِ . وَسُمِعَتْ زَمْجَرَةٌ عَنيفَةٌ وَصَوْتُ تَحَطُّمِ الأَثاثِ ، ثُمَّ أَصْواتُ حَشْرَجَةٍ وَأَنينٍ ، ثُمَّ أَطْبَقَ الصَّمْتُ التّامُّ عَلى المَكانِ .

أَضاءَ سكوت النّورَ ، وَهَبَطَ مَعَ والِدِهِ الدَّرَجَ في بُطْءٍ وَحَذَرٍ ، يَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهُما مُسَدَّسًا . لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حاجَةٌ إلى مُسَدَّساتٍ ، فَقَدْ أَنْجَزَ النّابُ الأَبْيَضُ عَمَلَهُ ؛ فَفي وَسَطِ الرَّدْهَةِ كانَ يَرْقُدُ رَجُلٌ بَيْنَ الأَثاثِ المُحَطَّمِ ، كانَ يَرْقُدُ عَلى جَنْبِهِ وَ وَجْهُهُ مُخْتَفٍ تَحْتَ ذِراعِهِ . وَأَزاحَ سكوت ذِراعَ الرَّجُلِ ثُمَّ أَدارَ وَجْهَهُ . كانَ الجُرْحُ الغائِرُ في رَقَبَتِهِ هُوَ سَبَبَ مَصْرَعِهِ .

صاحَ القاضي سكوت : « جيم هول ! » ثُمَّ الْتَفَتوا إلى النّابِ الأَبْيَضِ ، وَكانَ يَرْقُدُ أَيْضًا عَلى جَنْبِهِ ، وَكانَتْ عَيْناهُ مُطْبَقَتَيْنِ ، وَلكِنَّهُ فَتَحَهُما هُنَيْهَةً وَنَظَرَ إلى سَيِّدِهِ ، فَرَبَّتَ سكوت عَلَيْهِ ، فَسَمِعَ زَمْجَرَةً واهِنَةً ، ثُمَّ أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ ، وَرَقَدَ جِسْمُهُ مُمَدَّدًا عَلى الأَرْضِ .

قالَ سكوت : « إنَّهُ يوشِكُ عَلى الانْتِهاءِ .»

أَخَذَ الطَّبيبُ يَعْمَلُ لِمُدَّةِ ساعَةٍ وَنِصْفِ السّاعَةِ ، ثُمَّ طَلَعَ ضَوْءُ النَّهارِ ، وَالأُسْرَةُ كُلُّها – ما عَدا الأَطْفالَ – مُلْتَفَّةٌ حَوْلَ النّابِ الأَبْيَضِ في حالَةٍ مِنَ التَّرَقُّبِ ، لِتَسْتَمِعَ إلى قَوْلِ الطَّبيبِ : « إنَّ



فُرْصَتَهُ في النَّجاةِ تُمَثِّلُ واحِداً في الألْفِ ، فَساقُهُ كُسِرَتْ ، وَكَذلِكَ كُسِرَتْ لَهُ ثَلاثُ أضْلُعٍ ، وَكَأنَّ أحَدَهُمْ قَدْ سَقَطَ فَوْقَهُ . لَقَدِ اخْتَرَقَتِ الطَّلَقاتُ جَسَدَهُ ، وَفَقَدَ كُلَّ دَمِهِ تَقْريباً . إنَّ فُرْصَةَ واحِدٍ في الألْفِ لَيْسَتْ شَيْئاً يَدْعو إلى التَّفاؤلِ ، وَالحَقيقَةُ أنَّ حالَتَهُ تُنَبِئُ بِأنَّ فُرْصَتَهُ في النَّجاةِ لا تَتَعَدّى الواحِدَ !»

قالَ القاضي سكوت لِلطَّبيبِ : « يَجِبُ ألا تَتْرُكَ أيَّةَ فُرْصَةٍ تُفْلِت دونَ أنْ تُساعِدَهُ . إنَّ التَّكاليفَ لا تُهِمُّ ، وَسَوْفَ أُرْسِلُ في طَلَبِ دُكْتور نيكولاس مِنْ سان فَرَنْسيسْكو . يَجِبُ أنْ تَأتِيَ لَهُ بِأحْسَنِ الأطِبّاءِ لِيَكونوا في مُساعَدَتِكَ ، وَلَسْتُ أعْني بِذلِكَ أنَّكَ ، يا دُكْتور ، لَسْتَ طَبيباً مُمْتازاً ، وَلَكِنْ يَجِبُ ألا نَدَعَ أيَّةَ فُرْصَةٍ تَكونُ سَبَباً في نَجاتِهِ .»

ابْتَسَمَ الطَّبيبُ قائِلاً : « إنَّني أُدْرِكُ هذا بِطَبيعَةِ الحالِ ، وَيَجِبُ أنْ نَعْتَنيَ بِهِ لَيْلَ نَهارَ كَما لَوْ كانَ طِفْلاً مَريضاً .»

وَأخيراً فازَ النّابُ الأبْيَضُ في مَعْرَكَتِهِ مِنْ أجْلِ البَقاءِ .

وَكانَ الطَّبيبُ حينَ قالَ عِبارَتَهُ بِأنَّ فُرْصَةَ نَجاتِهِ واحِدَةٌ مِنْ عَشْرَةِ آلافِ فُرْصَةٍ ، إنَّما كانَ يُفَكِّرُ فيمَنْ عاشوا حَياةً رَغْدَةً لَيِّنَةً في بُيوتٍ مُريحَةٍ ، فَأمْثالُ هؤلاءِ هُمُ الَّذينَ تُعْوِزُهُمُ القُوَّةُ لِلتَّمَسُّكِ بِالحَياةِ . أمّا النّابُ الأبْيَضُ فَقَدْ أتى مُباشَرَةً مِنَ البَرِّيَّةِ حَيْثُ لا حَياةَ لِلضَّعيفِ فيها ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَعْفٌ وَلا بِأبيهِ وَلا بِأمِّهِ .

الفصل العشرون

نِهايَةٌ هادِئَة

نامَ النّابُ الأبْيَضُ ساعاتٍ طَويلَةً ، اسْتَرجَعَ خِلالَها شَريطَ حَياتِهِ في الغابَةِ وَمَعَ القُنْدُسِ الأشْهَبِ . وَأخيراً أتى اليَوْمُ الّذي اسْتَعادَ فيهِ صِحَّتَهُ ؛ إذِ الْتَحَمَتِ العِظامُ المَكْسورَةُ وَالْتَأَمَتِ الجُروحُ . وَأصْبَحَ الآنَ يُمْكِنُهُ مُغادَرَةُ الفِراشِ ، وَالْتَفَّتِ الأسْرَةُ كُلُّها حَوْلَهُ ، وَراحَ سَيِّدُهُ يَفْرُكُ أُذُنَيْهِ ، فَأطْلَقَ زَمْجَرَةَ الحُبِّ . وَأطْلَقَتْ عَلَيْهِ زَوْجَةُ سَيِّدِهِ لَقَبَ « الذِّئْب السَّعيد » .

وَقَدْ حاوَلَ أنْ يَنْهَضَ عَلى أرْجُلِهِ ، وَلَكِنَّهُ سَقَطَ مِنْ فَرْطِ الإعْياءِ، فَقَدْ رَقَدَ طَويلاً في فِراشِهِ . وَأخيراً اسْتَطاعَ أنْ يَقِفَ عَلى أرْجُلِهِ الأرْبَعِ مَعَ بَعْضِ الضَّعْفِ ، فَصاحَتِ النِّساءُ بِفَرَحٍ : « الذِّئْبُ السَّعيدُ !»

قالَ القاضي سكوت : « أ لَمْ أكُنْ أقولُ لَكُمْ طَوالَ الوَقْتِ إنَّهُ

ذِئبٌ ؟ إنَّ الكَلْبَ لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطيعَ أنْ يَفْعَلَ فِعْلَهُ .»

قالَ الطَّبيبُ : « لا بُدَّ أنْ يَتَعَوَّدَ المَشْيَ مَرَّةً أُخْرى ، وَيُمْكِنُ أنْ يَبْدَأَ الآنَ ، فَالمَشْيُ لَنْ يُؤْذِيَهُ . اصْطَحِبوهُ إلى خارِجِ البَيْتِ .»

وَهكَذا خَرَجَ النّابُ الأبْيَضُ وَحَوْلَهُ الأسْرَةُ كُلُّها . كانَ واهِناً لِلْغايَةِ ، فَبَعْدَ أنْ مَشى بِضْعَ خُطُواتٍ رَقَدَ عَلى الأرْضِ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ المَشْيَ حَتّى وَصَلَ إلى البِناياتِ الخارِجِيَّةِ ، حَيْثُ تُقيمُ الخَيْلُ .

وَكانَتْ كَلْبَةُ الحِراسَةِ تَرْقُدُ هُناكَ في مَدْخَلِ البابِ ، وَحَوْلَها سِتَّةُ جِراءٍ صَغيرَةٍ سَمينَةٍ تَلْعَبُ تَحْتَ أشِعَّةِ الشَّمْسِ .

نَظَرَ النّابُ الأبْيَضُ إلى الجِراءِ في فُضولٍ ، وَزَمْجَرَتْ الكَلْبَةُ ، فَكانَ حَريصاً عَلى أنْ يَظَلَّ مِنْها عَلى بُعْدٍ آمِنٍ . وَحَرَّكَ السَّيِّدُ جَرْواً نَحْوَهُ فَزَمْجَرَتْ الكَلْبَةُ ، الّتي كانَتْ تَحْمِلُها إحْدى السَّيِّداتِ بَيْنَ ذِراعَيْها ، في قَلَقٍ .

أخَذَ النّابُ الأبْيَضُ يُراقِبُ الجَرْوَ ، ثُمَّ تَماسَّ أنْفاهُما ، وَشَعَرَ بِلِسانِ الجَرْوِ الدّافِئِ يَلْعَقُهُ ، فَأخْرَجَ لِسانَهُ وَأخَذَ يَلْعَقُ وَجْهَ الجَرْوِ .

وَارْتَفَعَتْ صَيْحاتُ السُّرورِ مِنَ السّادَةِ وَهُمْ يُشاهِدونَ ذَلِكَ ، فَدَهِشَ وَلَكِنْ دونَ أنْ يَفْهَمَ شَيْئاً . ثُمَّ رَقَدَ بِسَبَبِ ضَعْفِهِ ، وَأقْبَلَتْ نَحْوَهُ الجِراءُ الأخْرى ، فَسَمَحَ لَها بِأنْ تَصْعَدَ عَلى جِسْمِهِ وَتَقَعَ

عَلَيْهِ . كانَ يَرْقُدُ في الشَّمْس يُغالِبُهُ النُّعاسُ ، وَعَيْناهُ نِصْفُ مُغْمَضَتَيْنِ .

المغامرات المثيرة

١ - مغامرة في الأدغال
٢ - مغامرة في الفضاء
٣ - مغامرة أسيرين
٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ - مغامرة على الشاطئ
٦ - الجاسوس الطائر
٧ - لصوص الطريق
٨ - حمد الغواص الشجاع
٩ - اللصان الغبيان
١٠ - مطاردة لصوص السيارات
١١ - مغامرات السندباد البحري
١٢ - لعبة خطرة
١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤ - اللؤلؤة السوداء
١٥ - سر الجزيرة
١٦ - مغامرة في النهر
١٧ - شبح الحديقة وقصص أخرى
١٨ - سر الدرجات التسع والثلاثين
١٩ - الجاسوس و قصص أخرى
٢٠ - مغامرات توم سوير
٢١ - المختطف
٢٢ - الكمبيوتر الرهيب
٢٣ - الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
٢٤ - موسيقى الليل وقصتان أخريان
٢٥ - الناب الأبيض
٢٦ - موبي دِك
٢٧ - سر القط الفرعوني
٢٨ - سجين زندا
٢٩ - مغامرات هاكلبري فِن
٣٠ - الفرسان الثلاثة

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

١٩٤٤

رقم الكمبيوتر 01 C 198226